في رحاب
أسماء الله الحسنى

تأليف

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد بهي الدين

في رحاب أسماء اللّه الحسنى

تأليف
أ. د/ محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف، الآية ١٨٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فعقيدتنا أنَّنا نؤمن بالله الواحد الأحد، خالق الخلق، ومالك الملك، وأنه ﷻ عالم الغيب والشهادة، فلَا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولَا في السماء، يحيط علمه بكل شيء، ولَا يحيط به شيء، وأنه ﷻ هو الحق المبين، لم يتخذ صاحبة ولَا ولدًا، وليس له كفْءٌ ولَا ندٌّ ولَا نظيرٌ ولَا شبيهٌ ولا شريكٌ، وهو الأول بلَا بداية، والآخر بلَا نهاية، وأنَّه نور السماوات والأرض، وهو الحي الذي لا يموت، وأن

أمـره إذا أراد شـيئًا أن يقـول لـه: كـن؛ فيكـون، وهو الحي القيوم، الرحمن الرحيم، له الأسماء الحسنى ندعوه بهـا.

فالله ﷻ هو الرحمن، الرحيم، الملك، القُدُّوس، السلام، المؤمـن، المهيمن، العزِيز، الجبَّار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصـور، الغفَّـار، القهَّـار، الوهَّـاب، الـرَّزَّاق، الفَتَّـاح، العلِيـم، القابـض، الباسـط، الخافـض، الرافـع، المعـز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشَّكُور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسـيب، الجليـل، الكـريم، الـرقيب، المُجِيب، الـواسـع، الحَكِيم، الـودود، المجيـد، الباعث، الشَّـهِيد، الحـق، الوكيل، القـوي، المتين، الولي، الحميـد، المحصي، المبدئ، المعيـد، المحيي، المميت، الحـي، القيوم، الواجد، الماجـد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهـر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التَّـوَّاب، المنتقم، العفو، الـرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسـط، الجامع، الغنيُّ، المغني، المانع، الضار، النافـع، النور، الهادي، البديـع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور، ﷻ، وتقدست أسماؤه.

ونقدم في هذا الكتاب عرضًا ميسرًا لأسماء الله الحسنى؛ قصد فهم معانيها، والتماس بركتها، وذكره ﷻ بها، والعمل بما يقتضيه كل اسم منها، ونحاول أن نعيش في رحابها، سائلين الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

والله من وراء القصد، وهو الموفق والمستعان.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الأسماء الحسنى ومعنى إحصائها

إن ديننا دين عظيم سمح سهل، لا تعقيد فيه ولا الْتواء، فالإسلام أركانه ظاهرة، والإيمان أركانه واضحة، والإحسان معناه بيِّنٌ جليٌّ، وهو ما بيَّنه لنا نبينا ﷺ في حديث الأمين جبريل عليه السلام، فعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله،

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:»فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

وإن الإيمان بأسماء الله الحسنى جزءٌ لا يتجزأ من إيماننا بالله ﷻ، فمعرفة الله تعالى تقتضي معرفة أسمائه الحسنى وفهم معانيها، يقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٠]، والإلحاد هنا هو الانحراف عن هذه الأسماء أو الانحراف عن الفهم الصحيح لمعانيها.

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة، حديث رقم: ١.

ويقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر، الآيات ٢٢ - ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء، الآية ١١٠]، والمعنى: ادعوه يا الله، أو ادعوه يا رحمن، فبأي أسمائه ﷻ دعوتم فله الأسماء الحسنى.

والعلم بأسماء الله ووحدانيته وصفاته مأمور به، حيث يقول ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية ١٩]، ويقول تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٧]، ويقول تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ *

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، الآيتان ٤٩، ٥٠].

معنى إحصائها:

يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(١)]، والمراد بإحصاء هذه الأسماء فهم معانيها، والتعبد لله ﷻ بمقتضاها، قال ابن القيم: «الإحصاء على ثلاث مراتب: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاؤه بها»[(٢)].

وقال النووي في شرحه لحديث: «إِنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا واحِدًا»: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصرٌ لأسمائه ﷻ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَابٌ: إِنَّ لله مِائَةَ اسْمٍ إِلاَّ وَاحِدًا، حديث رقم: ٧٣٩٢، وصحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابٌ فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، حديث رقم: ٢٦٧٧.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم، ١/ ١٦٤، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ويدل على أنها غير محصورة قوله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[1]، فدعانا النبي ﷺ إلى تعلم هذه الأسماء، وبيَّن أنها ليست محصورة في هذه الأسماء، فهناك ما استأثر الله به في علم غيبه، وهناك ما أنزله في كتابه، وهناك ما علَّمه بعض خلقه، نؤمن بذلك، ونؤمن بأن لله ﷻ كلَّ كمالٍ، وكلَّ جلالٍ، وكلَّ جمالٍ يليق بذاته ﷻ، له الأسماء الحسنى ندعوه بها.

فليس المقصود حصر الأسماء الحسنى في التسعة والتسعين، فكل ما ورد في كتاب الله ﷻ وفي سنة نبينا ﷺ من أسمائه الحسنى، نؤمن به ونتعبد به لله ﷻ.

(١) شرح النووي على مسلم، ١٧/ ٥ .

الله الواحد الأحد

لفظ الجلالة ﷲ، عَلَمٌ على الذات الإلهية، يوصف ولا يوصف به، فتقول: الله العلِيم الخبير اللطيف الحَكِيم، ويدل بذاته على الذات وجميع صفات الكمال، فإذا قلت: ﷲ دخل في القلب جلال الذات وجمال الأسماء وجمال الصفات، واستحضرت كل معاني العظمة والسمو والكمال لله ﷻ، فله ﷻ دون سواه الكمال المطلق، والجمال المطلق، والخير المطلق، هو خالق الخلق ومالك الملك.

ويختص لفظ الجلالة ﷲ بأنه كلما حذف منه حرفٌ كان الباقي دالًّا على الذات الإلهية، فإذا حُذفت الألف كان ما بقي من حروف الاسم دالًّا عليه ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة، الآية ١٢٠]، وإذا حُذفت اللام الأولى صار: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحديد، الآية ٢]، وإذا حُذفت اللام الثانية وأشبعت

الهاء صار الضمير عائدًا عليه ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الحشر، الآية ٢٢]، وقد ذكر الإمام الفخر الرازي اثني عشر دليلًا على أن لفظ الجلالة هو أعظم الأسماء.

ولفظ الجلالة ﷲ على ما ذكره بعض من أهل العلم هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعيَ الله ﷻ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى[1]، فإن ضاقت بك الأمور أو اشتدت عليك الهموم فالجأ إليه، وقل: يا الله؛ فنعم المولى، ونعم المُجِيب، ونعم الوكيل، ونعم الحسيب، ونعم النصير.

وهو ﷲ الواحد الأحد، الذي لا شريك ولا مثيل ولا نظير ولا شبيه له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، فهو الواحد الأحد، لا يستحق غيره العبادة، ولا معبود بحق سواه.

و(الأحد) اسم استأثر به الحق ﷻ، فلا يشاركه فيه غيره، ولا يوصف به غيره ﷻ، وقد جاء في القرآن الكريم في سورة الإخلاص قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

(١) تفسير الفخر الرازي، ١/ ١١١.

[سورة الإخلاص، الآيتان ١، ٢]، فهو الواحد الأحد الذي لا ندَّ له، ولا شريك له، ولا ولد له.

أما اسمه (الواحد) فيعني أنه الواحد في ذاته وصفاته، المتفرد بصفات الكمال والجمال، لا يشاركه أحد في جماله ولا كماله ولا ملكه، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٧١].

ووحدانية الله ثابتة في جميع الشرائع عند جميع الأنبياء والرسل، وصَّى بها جميع الأنبياء والرسل أبناءهم وأممهم، يقول ﷻ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٣٣].

وقد ورد الاسمان مقترنين في السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ ولَمْ يَكُنْ له ذلكَ، وشَتَمَنِي ولَمْ يَكُنْ له ذلكَ، فأمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كما بَدَأَنِي، وليسَ أوَّلُ الخَلْقِ بأَهْوَنَ عَلَيَّ مِن

إعادَتِهِ، وأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وأنا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفْئًا أَحَدٌ»[1]، وعن محجن بن الأدرع ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ المسجدَ، إذا رجلٌ قد قَضى صلاتَهُ وَهوَ يتشَهَّدُ، فقالَ: «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ يا الله بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ، ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ»، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «قَد غَفرَ الله لَهُ، ثَلاثًا»[2].

وخلاصة القول أننا نؤمن بأن الله ﷻ هو الواحد الأحد، خالق الخلق، ومالك الملك، وأنه ﷻ عالم الغيب والشهادة، فلا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، يحيط علمه بكل شيء، ولا يحيط به شيء، وأنه ﷻ هو الحق المبين، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وليس له كفْءٌ ولا ندٌّ ولا نظيرٌ ولا شبيهٌ ولا شريكٌ،حيث يقول ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية ١١].

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾، حديث رقم: ٤٩٧٤.
(٢) سنن النسائي، كِتَابُ السَّهْوِ، بَابُ الدُّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ، حديث رقم: ١٣٠١.

خالق الخلق ومالك الملك

خالــق الخلــق ومالـك الملك هـو الله وحــده، حيث يقــول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [سورة الزمر، الآية ٦٢]، ويقول ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٠٢]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة فاطر، الآية ٣]، ويقول ﷻ: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [سورة الرعد، الآية ١٦]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة الحجر، الآية ٨٦].

والله ﷻ قد أحسن كل شيء خلقه، يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۞ ثُمَّ

جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة، الآيات ٧-٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات ١٢- ١٤]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [سورة الانفطار، الآيات ٦-٨].

وقد أبدع ﷻ خلق السماوات والأرض والجبال والكون كله، حيث يقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد، الآية ٢]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ

ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك، الآيات ٣، ٥].

أما الذين يدعون من دون الله فلا يستطيعون أن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا على أن يخلقوه، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [سورة الحج، الآية ٧٣]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآيتان ١٧، ١٨].

فله وحده الخلق، وله وحده الأمر، وله وحده الملك، وهو ﷻ المَلِك الحق، يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [سورة الحشر، الآية ٢٣]، ويقول ﷻ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه، الآية ١١٤].

وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وله وحده ملك السماوات والأرض ويوم الفصل

العظيم، يقول تعالى: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة الحديد، الآية ٢]، ويقول ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية ٤]، ويقول تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۞ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [سورة غافر، الآيتان ١٦، ١٧].

* * *

الرَّحمن الرَّحيم

إن ديننا العظيم هو دين الرحمة، وإن نبينا ﷺ هو نبي الرحمة، وربنا ﷻ هو الرحمن الرحيم.

وفرّق بعض العلماء بين «الرحمن» و«الرحيم» من وجوه، فقال بعضهم: الرَّحْمَن هُوَ: ذُو الرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، أما الرحيم فهو: ذُو الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حيث يقول ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٤٣]، وقال بعضهم: الرحمن هو الذي يكشف الكروب، والرحيم هو الذي يغفر الذنوب، فالأول عام؛ لأنه يكشف الكرب عن المؤمن وغير المؤمن، والثاني خاص بالمؤمنين بمغفرة ذنوبهم في الدنيا ورحمتهم في الآخرة.

وقد اجتمع الاسمان معًا في مواضع من القرآن الكريم، حيث يقول ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية ٣]،

ويقول ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٦٣]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل، الآية ٣٠]، ويقول ﷻ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٢].

وكثيرًا ما اقترن اسم الله ﷻ الرحيم باسمه ﷻ التَّوَّاب، أو الغفور، حيث يقول ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة، الآية: ٣٧]، ويقول ﷻ على لسان إبراهيم وإسماعيل ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة، الآية ١١٨]، ويقول ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الحجر، الآية ٤٩].

ويقول ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة يونس، الآية ١٠٧]، ويقول ﷻ على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة يوسف، الآية ٩٨].

وفي اقتران اسم الله تعالى «الرحيم» باسمه ﷻ «التَّوَّاب» أو « الغفور» دلالةٌ على سعة أبواب رحمته ومغفرته وقبوله للتائبين.

ويأتي اسم الله ﷻ «الرحيم» مقترنًا باسمه ﷻ «العزِيز»، وهو العزِيز القوي المتين القادر المقتدر؛ ليبين أنه ﷻ يعفو عن الزلات رحمةً وتفضُّلًا بعزةٍ واقتدارٍ.

وقد جاء قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٩١]، ثماني مرات في سورة الشعراء وحدها، ويقول تعالى في سورة الروم: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الروم، الآيتان ٤، ٥]، ويقول ﷻ في سورة السجدة: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة السجدة، الآية ٦].

ويقترن اسم الله تعالى «الرحيم» باسمه «البر» أيضًا، حيث يقول تعالى في سورة الطور: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور، الآية ٢٨]، فهو الرحمن الرحيم، وهو البر الرحيم، وهو الحَكِيم العزِيز، وهو القادر المقتدر، وهو المانع والمانح، وهو الغنيُّ المغني، وهو المعز المذل، فالأمر كله لله.

وجاء اسم « الرحمن» منفردًا في مواضع عدة، منها قوله ﷻ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٦]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه، الآية ٥]، ويقول ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه، الآية ١٠٨]، ويقول ﷻ على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام مخاطبًا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن

﴿يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [سورة مريم، الآية ٤٥]، أي: فلا تغتر بإمهال الله لك، فإن الله الرحمن الرحيم إذا أخذ كان أخذه أخذ عزيز مقتدر، فهو الرحمن الرحيم، وهو العزيز الحَكِيم معًا.

والبسملة التي نقرؤها في فواتح سور القرآن الكريم، ونتبرك بها في حياتنا كلها، ونبدأ بها أعمالنا كلها تجمع الاسمين الكريمين: «الرحمن الرحيم»، وفي سورة الفاتحة التي يقرؤها المسلم سبع عشرة مرة في صلاة الفريضة وحدها، فضلًا عن قراءتها في صلاة النوافل، ونقرأ قول الحق ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة، الآيتان ٢، ٣].

وفي التأكيد على ذكر اسم الله «الرحمن الرحيم» والجمع بينهما في البسملة وفي الفاتحة، وفي مواضع عديدة من القرآن الكريم ما يؤكد على سعة رحمة الله ﷻ بعباده، فديننا دين الرحمة، ونبينا ﷺ نبي الرحمة، حيث يقول ﷻ لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧]، وكان نبينا ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا

النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[1]، فإذا أردت أن تحقق معنى اسم الله الرحمن ومعنى اسم الله الرحيم فكن رحيمًا بخلقه «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[2]، والراحمون هم من يرحمهم الله، فارحموا تُرحَموا.

❋ ❋ ❋

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كِتَابُ الإِيمَانِ، حديث رقم: ١٠٠.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، حديث رقم: ٥٩٩٧، وصحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٣١٨.

الولي الحميد

من أسماء الله الحسنى "الولي"، ومنها "الحميد"، فهو ﷻ «الولي الحميد»، فنعم الناصر ونعم المعين، مالك الملك، ومدبر الأمر، يقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٧]، فهو ﷻ ولي الذين آمنوا، يتولى أمرهم كله: نصرهم وهدايتهم ومكافأتهم، فهو السميع دعاءهم المُجِيب لهم.

ويقول ﷻ على لسان نبينا ﷺ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٩٦]، ويقول ﷻ على لسان سيدنا يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي

مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف، الآية ١٠١]، ويقول الحق ﷻ على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٥٥]، وإذا كان الله وليك وناصرك ومَعك، فلا يضرك بعد ذلك مَنْ عليك ومَنْ معك.

أولياء الله هم محبوه ومطيعوه، هم العابدون، والولاية الحقيقية هي التي تقوم على العلم، وعلى طاعة الله، وعلى إقامة الفرائض والبعد عن المعاصي، يقول الحق ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [سورة يونس، الآيات ٦٢-٦٤].

فالولي الحق مؤدٍّ للطاعات، وقَّاف عند حدود الله، لا يأكل إلا حلالًا، ولا يُطعم أهله إلا حلالًا، فولاية الله تقتضي أن تحب الله، وأن تحب رسول الله ﷺ، حتى يحبك الله ورسوله، يقول نبينا ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ

يُحِبَّ المَـرْءَ لاَ يُحِبُّـهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْـرَهَ أَنْ يَعُـودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

فـالله ﷻ هو الولي الحميد، الولي الذي تولى شـئون جميع خلقـه فاسـتحق الحمد لذاتـه، وهو الحميد في ذاته وأسـمائه وصفاتـه وأفعالـه كلهـا، فلـه مـن الأسـماء أحسـنها، ومن الصفات أكملها وأعظمها وأتمها، وهو ﷻ المستحق للحمد كلـه، المحمـود بكل لسـان، وعلى كل حـال وفي كل حـال، في الشـدة والرخاء، في العسر واليسر.

وقد افتُتحت خمس سور من سور القرآن الكريم بالحمد لله ﷻ، أولها سـورة الفاتحة التي يقرؤها المسلم كل يوم سبع عـشرة مرة في صـلاة الفـريضـة وحدهـا، فقد قال ﷻ في مسـتهلهـا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة، الآيتان ٢، ٣]، وافتُتحت سورة الأنعام بالحمد، قـال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سـورة الأنعـام، الآيـة ١]، وافتُتحـت سـورة

(١) متفـق عليـه: صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَـانِ، بَـابُ حَلاَوَةِ الإِيمَـانِ، حديث رقم: ١٦، واللفظ له، وصحيح مسـلم، كِتَابُ الْإِيـمَان، بَابُ بَيَانِ خِصَال مَنِ اتَّصـفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٦٧.

الكهف بالحمد، قال ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [سورة الكهف، الآية ١].

وسورة سبأ افتُتحت كذلك بالحمد، حيث يقول ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[سورة سبأ، الآية ١]، كما افتُتحت سورة فاطر بالحمد، يقول ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة فاطر، الآية١].

والحمد نوعان: الأول: حمد على إحسانه لعباده، وعلى ما ساق إليهم من النعم، والثاني: حمد لجلال ذاته، فهو المستحق الحمد لأفضاله ولذاته ﷻ، فما أجمل الحمد وما أعظم ثوابه، يقول نبينا ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[1].

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ، حديث رقم: ٦٤٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، حديث رقم: ٢٦٩٤.

وقال ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1]، قيل لسفيانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: هَذَا ثَنَاءٌ، وَلَيْسَ بِدُعَاءٍ![2]، فَقَالَ: أما بلغك حديثُ النبي ﷺ حيث قال: «يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[3].

* * *

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابٌ فِي الدعاء إذا غزا، باب منه، حديث رقم: ٣٥٨٥ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي، ص ٢٠٦، دار الثقافة العربية .

(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٢٩٢٦.

الهـــــادي

إن الهداية منحة ومنَّة من الله ﷻ، والهادي اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى التي نتعبد بذكره ﷻ بها، فهو ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه، الآية ٥٠]، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد وإلى سواء السبيل، يقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة يونس: ٢٥]، ويقول ﷻ: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٩٧]، ويقول ﷻ: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [سورة الكهف، الآية

١٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٥٤].

ويقول تعالى في قصة سيدنا آدم عليه السلام: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾[سورة طه، الآية ١٢٣]، ويقول على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ * وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ * وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ * وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ * وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[سورة الشعراء، الآيات ٧٨- ٨٢].

ونحن نقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا، وفيها قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧]، أي: أننا نسأله الهداية في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة في صلاة الفريضة وحدها.

ثم تأتي الآية الثانية في سورة البقرة، وهي السورة الثانية في ترتيب المصحف الشريف، تقول: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ

فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢]، أي أن في القرآن الكريم إرشادًا وهداية للمتقين لما فيه صلاحهم وفلاحهم في معاشهم ومعادهم، وكأن الله ﷻ عندما سألناه الهداية في سورة الفاتحة في أول سور القرآن الكريم أرشدنا إليها في سورة البقرة السورة الثانية في ترتيب المصحف الشريف، حيث يقول ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢]، وكأنه تعالى يقول: من أراد الهداية فعليه باتباع هذا الكتاب العزيز.

وهو ما أكده نبينا ﷺ، حيث قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ»[1]، فسبيل الهداية الحقَّة هو اتباع كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٩].

(١) المستدرك للحاكم، كتاب العلم، حديث رقم: ٣١٨.

وعَـن العِرْبَـاضِ بْنِ سَـارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُـولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًـا بَعْدَ صَـلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَـةً ذَرَفَتْ مِنهَا العُيُـونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُـولَ الله؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَـرَى اخْتِلَافًا كَثِـيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُـورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُـنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[1].

والهدايـة نوعـان: هدايـة الإرشـاد، وهداية التوفيـق، أما هداية الإرشاد فهي مهمَّةُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن بعدهم العلـماء، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ**﴾ [سـورة الرعـد، الآيـة ٧]، أي: لـكل قوم هـادٍ يدلهم ويرشـدهم إلى طريـق الرشـاد، ويقـول سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ**

(١) سـنن الترمـذي، أبـواب العلم، بَابُ مَا جَـاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّـنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِـدَعِ، حـديـث رقـم: ٢٦٧٦.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى، الآيتان ٥٢، ٥٣].

وهي الهداية العامة، أي: إبانة طريق الحق والرشاد، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[سورة فصلت، الآية ١٧]، والمعنى: بيَّنا لهم طريق الحق من الضلال، ووضَّحنا لهم طريق الرشاد من الغي، فسلكوا سبيل الغي بدلًا من الهدى والرشاد، فكان عاقبة أمرهم خسرًا.

هذه هي هداية الإرشاد، وهي رسالة الأنبياء والمرسلين، ومهمة العلماء والدعاة والخطباء إلى يوم الدين.

أما هداية التوفيق فأمرها إلى الله وحده، ليست لأحدٍ من الخلق، ويقول ﷻ لنبينا ﷺ وهو أشرف الخلق وأكرمهم على الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٦]، وهذا سيدنا نوح عليه السلام عندما يقول مناجيًا ربه ﷻ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[سورة هود، الآيتان ٤٥، ٤٦].

ويقول ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ * وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [سورة التحريم، الآيات ١٠ - ١٢].

فالأمر في هذه الهداية ليس لأحد من الخلق، هداية التوفيق أمرها إلى الله ﷻ وحده، حيث يقول ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٢٥].

وعلمنا نبينا ﷺ أن لا نفتئت على الله ﷻ، فعَنْ ضَمْضَمِ بْنِ جَوْسٍ الْيَمَامِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أبوهُرَيْرَةَ ﷺ: يَا يَمَامِيُّ، لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِذَا غَضِبَ، قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:»كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَقْصِرْ، فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟!»، قَالَ: «إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ. قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟!»، قَالَ: «فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟، أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[1].

(١) مسند أحمد، ١٤/ ٤٦، حديث رقم: ٨٢٩٢.

علمنا نبينا ﷺ الرحمة ولين الجانب والأخذ بيد المدعو، وألا نشق على الناس، فلما جاءه ﷺ شاب يريد أن يرخص له النبي ﷺ في الزنا، فلم يقهره النبي ﷺ، ولم يزجره، ولم يعنفه، وإنما قال له: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا»، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللهم اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1]، هذه هي الرحمة بالمدعو.

(١) مسند أحمد، ٣٦/ ٥٤٥، حديث رقم: ٢٢٢١١.

ثـم علينا أن نطلـب الهداية لأنفسـنا ولأبنائنا ولخلق الله أجمعين، فإن وجدت إنسانًا على معصية فادع الله له بالهداية، وإن كنت على هدى فادع الله بالثبات، وأن يزيدك هدى على هدى، يقول تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[سـورة محمـد، الآيـة ١٧]، ويقول ﷻ في شـأن أهـل الكهـف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [سورة الكهف، الآية ١٣].

* * *

الحَكِـيم

مـن أسـماء الله الحسـنى «الحَكِيـم»، والحَكِيم هـو الذي أحكـم ويحكـم الأمر كله، يقـول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَـاهِـرُ فَوْقَ عِبَـادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سـورة الأنعـام، الآيـة ١٨]، فالحَكِيـم الحـق هـو الله، وكل شيء عنـده بمقـدار، حيـث يقـول ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سـورة الحجر، الآية ٢١]، فالماء خـزائـنـه عند الله، والمال خزائـنـه عند الله، والعلم خزائـنه عنـد الله، وراحة البال خزائنها عنـد الله، فقد جاءت كلمة (شيء) في الآيـة الكريمة نكرة لتفيد العموم، فكل ما يخطر ببالـك فخزائنه ومفاتيح خزائنه عنـد الله ﷻ، ويقول ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ [سـورة الحجـر، الآية ٢٢]، ويقول تعـالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١٨]،

ويقول ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [سورة النور، الآية ٤٣]، فهو وحده القادر على أن يجعل الماء غيثًا لمن يشاء وطوفانًا على من يشاء، فيرسله برحمته وحكمته، ويمسكه برحمته وحكمته، ويدبره بأمره، فالماء لو قلَّ لأصاب الناس الجدب والعطش، ولو كثر صار طوفانًا وأصابهم الغرق، فينزله ﷻ بقدر وحساب كيف شاء ومتى أراد، يقول الحق ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۞ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآيات ٦٨ - ٧٠]، ويقول ﷻ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾[سورة الملك، الآية ٣٠].

ويقول ﷻ: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة فاطر، الآية٢]، يفتح لهذا بحكمة، ويمنع عن هذا بحكمة، ويفتح في وقت بحكمة، ويمسك في وقت آخر بحكمة، كما قال ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ

مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۞ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾[سورة الشورى، الآيتان ٤٩،٥٠]، كل ذلك لحكمة وبحكمة.

وإذا أردت أن تقف على جانب من الحكمة العظيمة فيما يعده بعض الناس غريبًا، ومنه ما استغربه كليم الله موسى عليه السلام من العبد الصالح عندما خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنى الجدار، ثم جاء العبد الصالح ليبين له سر وحكمة ما كان، وذلك ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ۞ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۞ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ۞ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [سورة

الكهف، الآيات ٧٩-٨٢]، كل ذلك بحكمة الحَكِيم العلِيم الخبير، ثم يقول ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [سورة الكهف، الآية ٨٢].

- مع تأكيدنا على أمور عدة:

الأول: أن الأمر كله لله، بحكمته يعطي ما يشاء لمن يشاء متى يشاء، ويمنع ما يشاء عمن يشاء متى يشاء لحكمة يعلمها، لا رادَّ لحكمه، ولا معقب لقضائه، ففوِّض الأمر لمن دبره، فلن ترى غير الذي قدَّره، وما قدَّره هو الحكمة، فعليك أن ترضى بما قسم الله لك، فالرضا بما قسم الله عين الإيمان، يقول ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٦].

ولأنه هو الحَكِيم، قد يؤخر عنك شيئًا لحكمة، وقد يقدم لغيرك شيئًا لحكمة، فارضَ بما قسم الله لك، فهي حكمته وقسمته، وعطاؤه، يقول ﷻ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة ص، الآية ٣٩].

الأمر الثاني: الحكمة منحة ومِنَّة من الله ﷻ، يقول ﷻ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٩]، ويقول ﷺ: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ الله مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ[1]، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّه حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

الأمر الثالث: علينا أن ندرك أن للكون خالقًا حَكِيما، وربًّا عظيمًا منزهًا عن العبث، خلق الكون لحكمة، يقول ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان ١١٥، ١١٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية ٥٦]، فلنُعمل عقولنا في كل تصرفاتنا، وننطلق من الحكمة التي خلقنا الله لها: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ليفتح لنا ﷻ من أبواب فضله بابًا واسعًا لعمارة الكون في تراحم وتكافل وتعاضد وتعايش، كما أراد الله.

---

(١) أي: على إنفاقه في الحق، في سبيل الله، وإطعام الطعام، وسد حوائج المحتاجين من الفقراء والمساكين.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ إِنْفَاقِ المَالِ فِي حَقِّهِ، حديث رقم: ١٤٠٩، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم: ٨١٦.

وعندما نمعن النظر في تذييل بعض الآيات بكلمة (الحَكِيم) نقف على بعض جوانب عظمة الحكمة الإلهية، يقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٢٦]، فهو العزِيز القادر على نصر وعزة من يشاء، متى يشاء، وهو الحَكِيم الذي يؤخر النصر ويؤجله لحكمة عمن يشاء.

وهو العلِيم بكل شئون الكون، ما كان وما سيكون وما هو كائن، الحَكِيم الذي يدبر الأمر بحكمته، ويعطي من يشاء متى يشاء لحكمة، ويمنع من يشاء متى يشاء لحكمة، ويهب من يشاء متى يشاء لحكمة، فإن أعطاك كن راضيًا وإن لم يعطك كن صبورًا، يقول نبينا ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩.

المُجِيب

الله ﷻ هو المُجِيب دعاء عباده، فيقَابل دعاءهم بالإجابة، يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦]، ويقول ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل، الآية ٦٢].

فإذا ضاقت بك الدنيا أو حتى أقبلت عليك، فعليك بالمُجِيب الذي قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر، الآية ٦٠].

ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ الله ﷻ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا لَيْسَ فِيهِمَا شَيْءٌ»[1]،

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ٣١، حديث رقم: ٤٥٩١.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ»[1].

وهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو الله عز وجل في لحظة شدة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[سورة الصافات، الآيتان ٧٥، ٧٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ * فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [سورة القمر، الآيات ٩-١٣].

ويتحدث القرآن الكريم عن نجاة سيدنا نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وعن إهلاك الكافرين المكذبين الذين آذوا سيدنا نوحًا عليه السلام ومن معه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ

(١) مسند أحمد، ١٧/ ٢١٣، حديث رقم: ١١١٣٣.

نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۞ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞﴾ [سورة هود، الآيات ٣٦ - ٤٤]، وقد سمع أحد الأعراب هذه الآية، فقال: أشهد أن هذا كلام رب العالمين، لا يشبه كلام المخلوقين، وإلا فمن ذا الذي يأمر الأرض أن تبلع ماءها

فتبلع؟ ويأمر السماء أن تقلع عن إنزال الماء فتقلع؟ إنه رب العالمين ولا أحد سواه!.

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو ربه عز وجل، حيث يقول ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٩، ٩٠].

فإن كنت مريضًا أو مدينًا أو مهمومًا فعليك بدعاء المُجِيب، الذي أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن؛ فيكون.

ولإجابة الدعاء مفاتيح عدة، منها: الصبر وعدم الجزع أو السخط أو اليأس، فلقد استجيب لنوح عليه السلام لصبره على تكذيب قومه له واستهزائهم به، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآيتان ١٤، ١٥].

ومنهـا: الأدب مـع الله في الدعـاء، فهـذا أيـوب عليه السلام، حيـث يقـول ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ فتـأدَّبَ أن يسـند مـا أصابـه إلى الله ﷻ، وإنـما لجأ إليه، ولسـان حاله يقول: علْمُك بحالي يغنيك عن سـؤالي، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٣، ٨٤].

ومن مفاتيح إجابـة الدعـاء: الذكر والاسـتغفار والثناء على الله، وهذا ما كان من سـيدنـا يونس عليه السلام حين نـادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٧، ٨٨].

ومنها: فعل الخيرات، والمسـارعة في عمل الخير، وهذا ما كان من سر إجابة الدعاء لسيدنا زكريا عليه السلام وزوجه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٠].

ومن أسـباب إجابـة الدعاء: كثـرة السـجود، فعَنْ أَبِي هُـرَيْـرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَـالَ: «أَقْـرَبُ مَـا يَكُـونُ

الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1]، ويقول ﷻ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [سورة العلق، الآية ١٩]، فالسجود قربٌ من الله ﷻ.

ومن مفاتيح إجابة الدعاء: كثرة الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، قال العارفون من أهل العلم: »إذا أردت الدعاء فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم ادعُ بما شئت، ثم اختم بالصلاة عليه ﷺ، فإن الله ﷻ أكرم من أن يقبل الصلاتين ولا يقبل ما بينهما»[2]، وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللهم اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ»، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ»[3].

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم:٤٨٢.
(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ١/ ٣٠٧، دار المعرفة، بيروت.
(٣) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، بَابُ جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم:٣٤٧٦.

الرَّزَّاق

من أسماء الله الحسنى (الرَّزَّاق)، وهو صيغة مبالغة من الرزق، حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، الآيات ٥٦- ٥٨].

أولًا: لم يقل ﷻ: «الرَّزَّاق» فقط، وإنما قال: «الرَّزَّاق ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»، فالله ﷻ هو القادر النافذ الأمر، وأمره ﷻ إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فإذا أراد أن يعطيك فلن تستطيع الدنيا بكل ما فيها ومن فيها أن تمنع شيئًا ماديًّا أو معنويًّا أراد الله أن يعطيك إياه، كما لا تستطيع أن تعطيك شيئًا لم يُرد اللهُ ﷻ إعطاءَه لك، يقول نبينا ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ

أَنَّ الأُمَّـةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَـلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِـشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُـفُ»[1]، فـما أخطأك لم يكن ليصيبـك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ورزقك سوف يأتيك.

ويقول الحق ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [سـورة الطلاق، الآيتـان ٢، ٣]، ويقـول ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سـورة هود، الآية ٦]، حيث يسـوق ﷻ إليهـا رزقهـا حيثما كانت، فمن الـذي يرزق السـمك في الماء؟ والحشرات في جوف الأرض؟

فقد يسـوق الرزق إلى الضعيف المسـتضعف كما يسوقه إلى السـاعي القـوي صاحـب الطُّوَق والحيلة، كما سـاقه إلى

(١) سـنن الترمـذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَـاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب بعده، حديث رقم: ٢٥١٦.

الغلامين اليتيمين صاحبي الجدار فيما حكته سورة الكهف، ولا يسوقه إلى صاحب الفهم اللبيب ذي الحيل؛ إنه الله وحده، يقول الإمام الشافعي رحمه الله[1]:

لَو كانَ بِالحِيَلِ الغِنى لَوَجَدتَني

بِنُجومِ أَقطارِ السَماءِ تَعَلُّقي

وَمِنَ الدَّليلِ عَلى القَضاءِ وَحُكمِهِ

بُؤسُ اللَبيبِ وَطِيبُ عَيشِ الأَحمَقِ

فقد تجد ذكيًّا لبيبًا مضيَّقًا عليه غير ذي سعة، وتجد إنسانًا غير ذلك وعنده من السعة والثراء الكثير.

وهو ﷻ يرزق البهيمة والطير والحشرات، والإنسان والحيوان، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٦٠]، أي: لا تستطيع بضعفها وكسرها أن تحمل رزقها، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، فالله ﷻ هو

(١) ديوان الإمام الشافعي رحمه الله، ص: ٨٩.

الذي يسوق الرزق إلى الضعيف الذي لا حيلة له كما يسوقه إلى القوي المتين، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أَيْ لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شَيْئًا لِغَدٍ ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، أَيِ: اللهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ حَتَّى الذَّرِّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ فِي الهواء، والحيتان في الماء»[1]، فالرزق مضمون لا يقطعه عجز ولا تجلبه مظنة، فلا ينقطع هذا الرزق إلا بانقطاع الحياة، ولله در القائل[2]:

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ

أَبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ اللهُ

اليأسُ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحِبِهِ

لا تَيْأسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ

اللهُ يُحْدِثُ بعدَ العُسرِ مَيْسَرَةً

لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ القاسمَ اللهُ

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٦٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.
(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٥٧، مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

إذا بُلِيتَ فثقْ بالله وارْضَ بـهِ

إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هو اللهُ

واللهِ مَا لَكَ غيرُ الله مِن أحدٍ

فــحَسْبُــك اللهُ في كلٍّ لكَ اللهُ

وقد خرج أحد التجار في سفر فألجأه الـحَرُّ إلى بستانٍ، فوجد طيرًا كسيرًا جريحًا لا يستطيع أن يسعى، فقال: يا سبحان الله كيف يعيش هذا الطائر ومن أين يأتيه قوته؟ فإذا بطائر آخر يأتيه بطعامه ويضع الطعام والقوت بين يدي هذا الطائر الكسير الجريح، فقال الرجل: يا سبحان الله، الله يرزق هذا الطائر وأنا لا أطمئن في بلدي وأخرج أطلب الرزق، فرجع من ساعته، فقال له صاحبه: لماذا عدت؟ فحكى له ما كان، فقال له: يا هذا لماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الكسير الجريح، ولم تسْعَ لأن تكون الطائر القوي الذي يعمل ليأكل ويُطعم الكسير الجريح؟!!.

وما دمت تؤمن بأن الله ﷻ هو الرَّزَّاق ذو القوة المتين فلا تجزع ولا تيأس ولا تقنط، فخزائن الله ملأى لا تنفد أبدًا،

فعليك باللجوء والتضرع إليه وحسن التوكل عليه، فإن نبينا ﷺ لما «مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانِي إلى الإِسْلَامِ، وَجَعَلَنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَكَرْتَ عَظِيمًا»، وَمُرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَقَالَ: «قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ»[1].

إن الرَّزَّاق الحق هو الله ﷻ، فعنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فَإِنَّ الله لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[2].

ﷻ لا إله غيره هو المتفضل بالرزق لم يتركه لأحد من خلقه، يقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ٤٠]، فهل يستطيع أحد من شركائكم أن يرزقكم؟ أو أن يميتكم؟ أو

(١) شعب الإيمان للبيهقي، الشعبة الرابعة عشرة، حب النبي ﷺ، حديث رقم: ١٤١٩.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٨/ ١٦٦، حديث رقم: ٧٦٩٤.

أن يحييكم؟ والإجابة الحاسمة: بالطبع لا أحد غير الله تعالى يقدر على شيء من ذلك.

ويقول ﷻ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [سورة الملك، الآية ٢١]، من غير الله يرزقك إن منعك الله رزقه؟، ويقول ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [سورة الملك، الآية ٣٠]، ويقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآيات ٦٣-٧٠]، ولله در القائل[1]:

قل للطبيب تخطَّفتْه يد الــرَّدَى

مَن يــا طبيــبُ بطبِّــه أرْداكا

(١) قصيدة بك أستجير، لإبراهيم بديوي .

قل للمريض نجا وعوفي بعدمـا

عجزت فنـون الطب من عافـاكا

قل للجنـين يعيش معـزولًا بـلا

راعٍ ومـرعى من الـذي يـرعـاكا

قل للوليـد بكى وأجهش بالبـكا

عنـد الـولادة من الـذي أبكـاكا

قل للصحيـح يمـوت لا من علـة

من بالمنـايا يا صحيـح دهـاكا

قل للبصـير وكان يحـذر حفـرة

فهـوى بهـا من ذا الذي أهواكا

بل سآئل الأعمى مشى بين الـزحـام

بلا اصطـدام من يقـود خطـاكا

وإذا تـرى الثعبـان ينفـث سـمـه

فاسأله من ذا بالسمـوم حشـاكا

واســألـه كيف تعيش يا ثعبـــان

أو تحيـا وهذا السم يمـلأ فاكـا

واسأل بطـون النحل كيف تقاطرت

شهـدًا وقـل للشهـد من حـلاكا

ومن عظيـم لطف الله ﷻ أن الـرزق في الدنيا للمؤمنين والكافرين، فلم يختص برزقه من آمن دون سواه، يقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [سورة الشـورى، الآية ١٩]، فالله تعالى يرزق المؤمن وغير المؤمـن، يرزق الطائع والعاصي، يرزق الجميع بفضله، فعَنْ أَبِي مُوسَـى الأشـعريِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْـسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَـمِعَهُ مِنَ الله، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[1].

ولله ﷻ في تقسـيم الأرزاق بـين العبـاد حِكـم يعطي ما يشـاء لمن يشاء متى يشـاء بحساب وبغير حساب، ويمنع ما

(١) متفـق عليه: صحيـح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ الصَّبْرِ عَـلَى الْأَذَى، حديث رقم: ٦٠٩٩ واللفـظ له، وصحيح مسـلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنـار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ، حديث رقم: ٢٨٠٤.

يشاء عمَّن يشاء متى يشاء، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، حيث يقول ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢]، ويقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٦٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [سورة الشورى، الآية ٢٧]، يقول ابن كثير: «أَيْ لَوْ أَعْطَاهُمْ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ لَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَشَرًا وَبَطَرًا»[1].

على أن تقوى الله وطاعتَهُ سببٌ عظيمٌ للرِّزقِ والبَركَةِ فيه، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [سورة المائدة، الآية ٦٦]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾

(١) تفسير ابن كثير، ٧/ ١٨٩، ط العلمية.

[سورة الأعراف، الآية ٩٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [سورة الجن، الآية ١٦].

وعن أحسن الرزق يقول ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [سورة الطلاق، الآية ١١]، فهو الرزق الذي لا انقطاع له ولا نفاد، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [سورة ص، الآية ٥٤].

* * *

القُدُّوس السلام

من أسماء الله الحسنى: اسم الله "القُدُّوس"، وهو الجامع لكل صفات الكمال والجمال، شديد التنزُّه عن كل عيبٍ أو نقصٍ، المستحق للعبادة والتقديس دون سواه، فلا نِدَّ ولا نظير ولا شبيه ولا شريك له ولا صاحبة ولا ولد له، و"السلام" هو الذي سلمت ذاته وصفاته وتنزَّهت عن أي عيب أو نقص، فيجب في حقه ﷻ كل كمال يليق بذاته المقدسة وصفاته وأسمائه، ويستحيل في حقه ﷻ أي نقص أو عيب، فاسم السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات لله ﷻ، كما يتضمن تنزيهه ﷻ عن جميع النقائص، يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر، الآيات ٢٢-٢٤]، وكان نبينا ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِن صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(١)، وكان نبينا ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوس، رَبُّ المَلَائِكَةِ والرُّوحِ»(٢).

والسلام هو الذي سلمت أفعاله عن الشر المطلق المراد لذاته، لا لخير حاصل ضمنه أعظم منه، حيث يقول ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [سورة النساء، الآية ٧٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة الشورى، الآيتان ٣٠، ٣١].

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله: «مَعْنَى السَّلَامُ عَلَيْكَ: اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكِ، وَالسَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ، فكأنه

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ٥٩١.
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، حديث رقم: ٤٨٧.

يُقَالُ: اسْمُ الله عَلَيْكَ، وَتَأْوِيلُهُ لَا خَلَوْتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكاتِ، وَسَلِمْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَذَامِّ، إِذْ كَانَ اسْمُ الله تَعَالَى إِنَّمَا يُذْكَرُ عَلَى الْأَعْمَالِ تَوَقُّعًا لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَانْتِفَاءِ عَوارِضِ الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ عَنْهُ، وَوَجْهٌ آخَرُ وهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ لِيَكُنْ قَضَاءُ الله عَلَيْكَ السَّلَامُ، وَهُوَ السَّلَامَةُ، أَيْ: سَلَّمَكَ اللهُ مِنَ الْمَذَامِّ وَالنَّقَائِصِ، فَإِذَا قُلْنَا: اللهُمَّ سَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ، كأَنَّا نُرِيدُ بِهِ اللهُمَّ اكْتُبْ لِمُحَمَّدٍ فِي دَعْوَتِهِ وَأُمَّتِهِ وذكره السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَتَزْدَادُ دَعْوَتُهُ عَلَى الْأَيَّامُ عُلُوًّا»[1].

فالله ﷻ هو السلام، ومنه السلام، ويحب السلام، وجعل تحيتنا في الإسلام السلام، والجنة هي دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وتحية أهلها فيها السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) شُعب الإيمان، الشعبة الخامسة عشرة: «تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، فَصْلٌ فِي مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ والسلام وَالْمُبَارَكَةِ وَالرَّحْمَةِ»، ٣/ ١٤٥.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يونس، الآيتان ٩، ١٠]، وتحية الملائكة لهم فيها سلام: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [سورة الرعد، الآيتان ٢٣، ٢٤].

فما أحوجنا أن نعيش في ظل معنى اسم الله السلام، بما يحقق السلام للإنسان فيما بينه وبين نفسه، وبينه وبين مجتمعه، وبينه وبين الإنسانية، وبينه وبين الكون كله، مع البشر والحجر والشجر.

وانطلاقًا من مبادئ الإسلام العامة ومقاصده السامية لم يقتصر السلام في الإسلام على أهل الإيمان، وإنما صار مبدأ للبشرية قاطبة؛ لينعموا معًا بالأمن والسعادة، ويحرصوا جميعًا على نشره في الأرض، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا

السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1].

فقد وجّه النبي ﷺ حديثه إلى الناس جميعًا لا إلى المسلمين وحدهم ولا إلى المؤمنين وحدهم، وإنما قال ﷺ: "أيها الناس، أفشوا السلام بينكم"، كما نلاحظ أنه ﷺ قدَّم إفشاء السلام على إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام؛ تأكيدًا على مكانة السلام وأهميته في أمان الفرد والمجتمع.

أرأيتَ كيف جاء الخطاب لكل الناس؟! ليس هذا فحسب، بل إن الأقرب من ربه وكرمه وعطفه ووده وبره هو الأسبق من غيره في بذل السلام وإلقائه وإفشائه، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالله مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»[2].

* * *

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب منه، حديث رقم: ٢٤٨٥.
(٢) سنن أبي داود، أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَابٌ فِي فَضْلِ مَنْ بَدَأَ السَّلَامَ، حديث رقم: ٥١٩٧.

السميع والبصير

«السميع» و«البصير» اسمان من أسماء الله ﷻ الحسنى، فهو سميع بصير بما يليق بذاته وكماله، يسمع مناجاة من ناجاه، ويجيب دعاء من دعاه، فمن معاني «السميع»: المستجيب للدعاء، المدرك لدقائق الأمور مهما دقت، حيث يقول ﷻ على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٨]، وعلى لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٩].

وهو بصير بأمور خلقه كلها، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، حيث يقول ﷻ لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه، الآية ٤٦]، ومن أيقن أن الله يسمعه

ويراه وهو معه أينما كان وجب عليه حسن مراقبته ﷻ في السر والعلن.

ومن المواضع التي اقترن فيها اسمه ﷻ «السميع» باسمه ﷻ «البصير»، قوله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء، الآية ١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر، الآية ٢٠]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر، الآية ٥٦].

واقترن اسمه ﷻ «السميع» باسمه ﷻ «العليم» في مواضع عديدة، منها قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٧]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ

مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة المائدة، الآية ٧٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١١٥]، وقوله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة يوسف، الآية ٣٤].

وقد استنكر سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه عبادة من لا يسمع ولا يبصر، فمن لا يسمع ولا يبصر لا يتصور أن يجيب، وعليه جاء قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ [سورة الشعراء، الآيتان ٧٢، ٧٣]، وقوله عليه السلام لأبيه: ﴿**إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ**

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة مريم، الآية ٤٢]، فإذا كانت آلهتهم لا تسمع أصلًا فلا يمكن أن يتصور أن تجيب أحدًا.

أما السميع البصير العليم فهو المستحق للعبادة والتقديس، ولما رأى النبي ﷺ بعض أصحابه يرفعون أصواتهم في الدعاء قال لهم ﷺ: «اربعُوا على أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولَا غَائِبًا؛ إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو معكُمْ»[1].

وإذا كنت تؤمن بأن الله ﷻ يسمعك ويراك ويعلم كل أحوالك؛ فعليك أن تتقيه ﷻ سرًّا وعلانية، وتراقبه في كل حركاتك وسكناتك تمام المراقبة.

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، حديث رقم: ٤٢٠٥، وصحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٧٠٤.

الحفيـــظ

من أسماء الله الحسنى: اسم الله «الحفيظ»، وهو اسم يحمل العديد من المعاني، من أهمها: أنه ﷻ الذي يحفظ خلقه وعباده، ويكلؤهم بفضله ورحمته، ويحفظ الكون كله من عوامل الاختلال والفناء إلا بإذنه، فهو الذي حَفِظ ما خَلَقه، وأحاطَ علمُه بما أوْجده، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٥].

وهو ﷻ الذي يحفظ السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، فلا تزولان إلا بإذنه، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر، الآية ٤١]، ويقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى

﴿ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحج، الآية ٦٥]، ويقول ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [سورة الصافات، الآيات ٥ – ٧].

وهو الذي يحفظ عباده من المهالك والمعاطب، ويقيهم مصارع السوء إلا بإذنه، حيث يقول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦١]، ويقول تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد، الآية ١١]، ويقول ﷻ: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية ٦٤]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ

العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1].

وهو ﷻ الذي حفظ كتابه الكريم عن التحريف والتبديل، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية ٩].

وهو الله الحفيظ الذي يحصي على العباد أعمالهم، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار، الآيات ١٠- ١٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الشورى، الآية ٦]، أي: يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ عليهم أعمالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة.

فالله ﷻ يحفظ على الخَلق أعمالهم، ويُحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نيَّاتهم وما تُكنُّ صدورهم، ولا تَخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ العَصْرِ، حديث رقم: ٥٥٥، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، حديث رقم: ٦٣٢.

وهو ﷻ الذي يحفظ أولياءه، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم عن مُكايدةِ الشيطان؛ ليَسلموا من شره وفتنته، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [سورة فصلت، الآيتان ٣٠، ٣١].

إن المحفوظ الحقيقي هو من حفظه وما حفظه الله ﷻ وشاء له أن يُحفظ ويبقى، يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ، باب بعده، حديث رقم: ٢٥١٦.

الفَتَّاح

من أسماء الله تعالى الحسنى: الفَتَّاح، وهو الذي يفتح أبواب الرحمة والخير والرزق لعباده، ويفتح لهم أبواب الحكمة والعلم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم للحق، وهو الذي يفتح لهم أبواب النصر، وهو الحكم العدل الذي يفتح بينهم بالحق.

فهو الفَتَّاح الذي يحكم بين عباده ويفصل بينهم، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة سبأ، الآية ٢٦]، ويقول ﷻ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٨٩]، ويقول ﷻ على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآيتان ١١٧، ١١٨]، ويوم الفتح هو يوم الفصل، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ يَوْمَ

ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية ٢٩].

وهو ﷻ الذي يفتح لعباده أبواب الخير والرزق وييسرها لهم، حيث يقول ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[سورة فاطر، الآية ٢]، ويفتح عليهم أبواب السماء بالخيرات والبركات، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٩٦].

وهو الذي يفتح لِمَنْ يَشاء مِنْ عباده أبواب الحِكْمة والعِلم، والفقه في الدِّين، ويكون ذلك بحَسب التقوى والصلاح، والإخْلاص، والصِّدق، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٩].

وهو الذي يلهم عباده سبل الرشاد، حيث يقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة،

الآية ٢١٣]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر، الآية ٢٢].

وهو الذي يفتح لعباده باب التوبة فلا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها، يقول نبينا ﷺ: «إنَّ الله ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا»[1].

وهو الذي يفتح على العبد المؤمن قبل موته بعمل صالح، حيث يقول نبينا ﷺ: "إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا عَسَلَهُ، قيلَ: وما عسَله؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[2].

وهو الذي يفتح على نبيِّه ﷺ يوم القيامة مِن أنواع المحامد، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم: ٢٧٥٩.
(٢) مسند أحمد، ٢٩/ ٣٢٣، حديث رقم: ١٧٧٨٤.

عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ»[1].

فإذا ضاقت عليك الأرض، فالْجأ إلى ربِّك الفَتَّاح، واسأله أن يفتح لك كل مُغْلَق، وييسر لك كل عسير، ويرزقك من خيري الدنيا والآخرة، وكُنْ أنتَ مفتاحًا للخير فيما تقدر عليه، فطوبى لِعَبْدٍ عاش حياته مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ»[2].

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: ٣٢٧.
(٢) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، حديث رقم: ٢٣٨.

العلِيم الخبـــير

عِلْمُ الله ﷻ هو العلم التام الكامل، فقد علم ﷻ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، أحاط علمه ﷻ بكل شيء، ولا يحيط به ولا بعلمه شيء، فهو ﷻ عالم الغيب والشهادة، يقول ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٥].

وهو الخبير، أي: العَالِم بكُنْه الأشياء كلها، المُطّلعُ على حقيقتها، المحيط بسرائر عباده وضَمائر قلوبهم وجميع أمورهم، فلا يَخفى عنه شيء، فهو خبيرٌ بكلِّ ما يَعْملونه أو يكسبونه من خير أو شر، حافظُ ذلك ومحصيه عليهم؛ ليُجازيهم به أو يغفر ويرحم.

فهو ﷻ عليم بالظواهر خبير بالبواطن، يعلم السر وأخفى، يقول ﷻ على لسان الملائكة عليهم السلام: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة،

الآيـة ٣٢]، ويقول ﷻ على لسـان نبينا ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سـورة الأنبياء، الآية ٤].

ويقـول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [سـورة الـروم، الآيـة ٥٤]، ويقـول ﷻ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سـورة الأنعام، الآيـة ١٣]، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سـورة التوبة، الآيـة ٧٨]، فمن علم أن الله سـميع بصـير عليم مطلـع مراقب، فـوَّض أمرَه إليـه، وعمل بطاعتـه، وابتعد عن معصيته، ووقـف عند حدوده، ومن علم أن الله عليـم بسره ونجواه، بعلانيته وبما تكنه الأنفس وتخفيـه الصـدور، أطاعـه وابتعد عـن معاصيه، واجتهـد في مرضاته، يقـول ﷻ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [سورة طه، الآية ٧]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١١٠].

ويقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۞ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۞ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد، الآيات ٨-١٠]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة لقمان، الآية ٣٤]، ويقول ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سورة التحريم، الآية ٣].

ولأن علمَ الله تعالى هو العلمُ التام علَّمنا نبيُّنا ﷺ الاستخارة في الأمور كلها، حيث يتبرأ المستخير من علمه إلى علم الله، ومن حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»، فيقول ﷺ: «إِذَا هَمَّ أحدكم بالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللهم إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ

أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[1]، فإذا أسندت الأمر إلى الله وشرح صدرك لأمرٍ ما؛ فامض حيث شرح الله صدرك.

فالعليم الحق هو الله تعالى، ومهما بلغ علمُ الإنسان فعليه أن يدرك معنى قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية ٧٦]، ومعنى قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٨٥].

وقد حثنا القرآن الكريم على الأخذ بأسباب العلم، ودعانا إلى ذلك، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة، الآية ١١]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ، حديث رقم: ٦٣٨٢.

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٢]، ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[١]، ولله در القائل[٢]:

بِالعِلمِ وَالمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمُ

لَمَ يُبنَ مُلكٌ عَلى جَهلٍ وَإِقلالِ

مع تأكيدنا أن كل ما ينفع الناس في شئون دينهم أو دنياهم، أو معاشهم أو معادهم فهو من العلم النافع الذي علينا أن نأخذ أنفسنا به.

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الاِجْتِمَاعِ عَلَى تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

(٢) القائل: أمير الشعراء أحمد شوقي في ديوانه .

الحسيب الوكيل المقيت

من معاني الحسيب في اللغة: المكافئ، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحْسبني، ومن معاني الوكيل في اللغة: الكفيل والضامن، فالله ﷻ هو الكفيل بأمور خلقه، المتكفل بأرزاقهم، والقائم عليهم بمصالحهم، والمقيتُ: هو الذي أَوْصلَ إلى كلّ موجودٍ ما به يُقتات، وأوصلَ إلى الناس أرزاقهم، وصرّفها بينهم بحكمتِه.

والحسيب الكافي هو الله ﷻ وحده، حيث يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣٩]، أي: وكفى به ﷻ حافظًا وعاصمًا، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦٧]، ويقول

تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣٦].

أما الوكيل ﷻ فهو الكافي والحفيظ والكفيل، فالكافي هو الله ﷻ، والحفيظ هو الله ﷻ، والكفيل بأمور خلقه هو الله ﷻ، يقول تعال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٧٣].

وقد حثنا الحق ﷻ على حسن التوكل عليه، وتفويض الأمور كلها إليه، وجعل التوكل عليه من صفات المؤمنين به، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٢]، ويقول

تعـالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٣].

وكيـف لا يتوكل المؤمن على الوكيل ﷻ وهو الكافي لمن تـوكل عليه، وفوض أمـره إليه، وقد قالوا: مـن اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد على عقله ضلَّ، ومن اعتمد على جاهه ذلَّ، ومـن اعتمـد على الناس ملَّ، ومـن اعتمـد على الله ﷻ فـلَا قَلَّ، ولَا ملَّ، ولَا ضلَّ، ولَا ذلَّ.

على أننـا يجب أن نفرق بوضـوح بـين التـواكل والتـوكل المحمـود، فالتـوكل الحقيقي هو أن تـأخذ بأقصى الأسباب، ثم تفـوض أمر النتائج لله ﷻ، فالطالب مثلًا يجتهد ويذاكر ويدعو الله بالتوفيـق، والفلاح يجتهد ويزرع ويباشر زرعته ويسـأل الله الخـير والبركة، والصانع أو التاجر كذلك، كلٌّ منَّا يأخذ بأقصى الأسـباب، ويسأل الله التوفيق، فأول علامات التوكل الحقيقي أن يوفقك الله للأخذ بالأسـباب، أما إذا أهمل الطالب معتمدًا على دعاء أمه أو دعاء غيرها؛ فإنه هنا لم يأخذ بالأسباب.

ألم تـر أنّ الله قال لمريـمَ وهُزّي

إليك الـجذعَ يسّاقـط الـرّطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّه

جنته ولكن كلّ رزق له سبب[1]

ألم يقل نبينا ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[2]، حتى الطير لم تبق في أعشاشها وأوكارها، وتقول: اللهم ارزقني، إنما تأخذ بالأسباب فتذهب وتجيء، وتغدو وتروح.

والناس في هذه القضية ثلاثة أقسام: فريق يكاد يعطل الأسباب ولا يحسن التوكل، فهؤلاء نقول لهم ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَا يَقْعُدُ أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللهمَّ ارْزُقْنِي، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تمطرُ ذهبًا ولا فضة»[3]، وَكَانَ سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»[4].

---

(١) المستطرف في كل فن مستطف، ص: ٣٠٨، شهاب الدين محمد بن أحمدبن منصور الأبشيهي، الم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، حديث رقم: ٢٣٤٤.

(٣) إحياء علوم الدين،٢/ ٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ٨/ ١٤٨

أما الفريق الثاني فيسرف في اعتماده على الأسباب، ظانًّا أو متوهمًا أن الأسباب تؤدي بطبيعتها إلى النتائج، غير مدرك أن للكون خالقًا قادرًا حَكِيما يقول للشيء كن فيكون، يُجري أسبابه حيث يريد، ويوقف جريانها حيث يريد، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، الآية ٨٢]، وهؤلاء نقول لهم: رويدًا رويدًا، فإن للكون خالقًا عظيمًا ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن.

وأما الفريق الثالث فهو من شرح الله صدره للإسلام علمًا وفقهًا وفهمًا وتطبيقًا، فيأخذ بأقصى الأسباب ثم يفوض أمره لله، راضيًا بما يقسمه له من نتائج، طالما أدى الذي عليه من أخذ بالأسباب، مدركًا أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، متوكلًا حق التوكل على الوكيل قال ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية ٩]، ولهؤلاء نقول لهم: عرفتم فالْزموا.

* * *

الجبَّار المتكبر

من أسماء الكمال والعظمة لله ﷻ «الجبَّار»، و«المتكبر»، حيث يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣)، وعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي وَقُمْتُ مَعَهُ، فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبَقَرَةَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

فالكبرياء والعظمة لله ﷻ وحده، لا ينازعه في ذلك أحد من الخلق، وفي الحديث القدسي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

(١) مسند أحمد، ٣٩/ ٤٠٥، حديث رقم: ٢٣٩٨٠.

قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ الله ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[1].

لقد نهانا الحق ﷻ أن نتكبر على أحد من خلقه، يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان ٣٧، ٣٨]، ويقول ﷻ على لسان سيدنا لقمان عليه السلام في وصيته لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، الآيتان ١٨،١٩]، وسُئل سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: «ما السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟» قال: الكِبر[2]. فإياك والتكبر على خلق الله، وإياك والاستعلاء على خلق الله.

(١) سنن أبي داود، كِتَاب اللِّبَاسِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ، حديث رقم: ٤٠٩٠.
(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، ص: ٢٧٤.

غـير أن اسـم الله ﷻ الجبَّـار لـه معنـى آخـر، هو من الجـبر.. جـبر الخواطـر وجـبر الكسـير، وفي الحديث أن النبـي ﷺ كان يقول في دعائه: «رَبِّ اغْفِـرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْـبُرْنِي، وَارْفَعْنِـي، وَارْزُقْنِي، وَاهْـدِنِي»[1]، فهو الجبَّار الـذي يجبر خاطـر عبـاده بالعطاء، ويجبر خاطـر المريض بالشـفاء، ويجبر خاطـر العقيم بالإنجـاب، ويجبر خاطر الفقير بالسـعة، ويجـبر خاطر المذنبين بالتوبـة؛ فهو الذي يقبل التوبة عن عباده، وهو الغفور الرحيم، فمن أراد أن يجبر الله خاطره فعليـه أن يعمل على جبر خواطر الناس، وقد قالوا: من سـار بـين الناس جابـرًا للخواطر، أدركه لطف الله في جوف المخاطر.

ومن سار بين الناس جابرًا للخواطر يحنو على الضعيف والفقير والمسـكين، ويطعم الجائع، ويـؤوي المشرد، ويعين الكَلَّ، جبر الله خاطره في الدنيا والآخرة؛ لذا قالت السـيدة خديجـة لنبينـا ﷺ لمـا عـاد مـن الغـار مرتجفًـا في أول نزول الوحـي: «وَالله لاَ يُخْزِيـكَ اللهُ أَبَـدًا، إِنَّـكَ لَتَصِـلُ الرَّحِـمَ،

(١) مسند أحمد، ٥/ ٧٢، حديث رقم: ٢٨٩٥.

وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[1].

فمن كان متأسيًا برسول الله ﷺ فليطعم الجائع، ويكرم الضيف، ويفرج عن المكروب، ويأخذ بيد الضعيف، ويعن على نوائب الدهر.

فعبادة جبر الخاطر عبادة عظيمة من أفضل العبادات، وخلق إسلامي رفيع يتخلق بها أصحاب النفوس العالية الراقية.

ومن باب جبر الخاطر إكرام ذوي القربى وإعطاؤهم إذا حضروا القسمة، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨]، ولقد جبر الله تعالى خاطر نبينا ﷺ وخاطر أمته، حيث يقول ﷻ لنبينا ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، حديث رقم: ٦٩٨٢، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حديث رقم: ٢٥٢.

[سورة الضحى، الآية ٥]، وفي حديث الشفاعة: «فأقول: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

وقد حثَّنا النبي ﷺ على جبر خواطر الناس، فقال ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٢).

ومن أعظم صور جبر الخاطر: جبر خاطر المحتاجين والضعفاء، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، قَالَ: أَوَ لَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟، قَالَ: «لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِيَ فِي

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث رقم: ٧٥١٠، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث رقم: ٣٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الاِجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

ثَمَنِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ[1]، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْقَاطِعِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَاكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ»[2].

ويقول نبينا ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ»[3].

وقد نهانا القرآن الكريم عن كسر خاطر اليتيم والمسكين، حيث يقول ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ

(١) المنحة بكسر الميم وسكون النون هي: العَطِيَّة، والمراد هنا: ناقة أو شاة يعطيها صاحبها لينتفع بلبنها ووبرها ما دامت تُدِرّ، والوَكوف بفتح الواو صفة لها، وهي الكثيرة اللبن، من وكف البيت إذا قطر، والفيء: أي التعطف والرجوع بالبر على ذي الرحم (ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب العتق، ٦ / ٢٢١٥.

(٢) صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّاعَاتِ وَفَوَابِهَا، ذِكْرُ الْخِصَالِ الَّتِي إِذَا اسْتَعْمَلَهَا الْمَرْءُ أَوْ بَعْضَهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حديث رقم: ٣٧٤.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٤٥٣، حديث رقم: ١٣٦٤٦.

﴿فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى، الآيات ٩ - ١١].

فالأيام دول، وغنيٌّ اليوم قد يكون فقيرَ الغد، وفقيرُ اليوم قد يكون غنيَّ الغد، وتلك الأيام نداولها بين الناس، من جبر خاطر الناس جبر الله خاطره، ومن ستر الناس ستره الله، ومن أطعم الفقير والمسكين والمحتاج أطعمه الله، يقول رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، حديث رقم: ٢٥٦٩ .

الـــرقيب

من أسـماء الله الحسنى، اسمه ﷻ «الرقيب»، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سـورة النسـاء، الآيـة ١]، والتـذييـل في هذه الآيـة بقوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ يتطلب أن يتقيَ كلٌّ من الزوجـين الله ﷻ في زوجه، وأن يراقب الله فيه حق المراقبة؛ لأن الله ﷻ رقيب عليهما، وكفى به رقيبًا.

وهو القائم على شئون خلقه، المطلع على ما تكنه النفوس والصـدور، القائم على كل نفس بما كسـبت، وهـو معنا أينما كنَّـا، حيـث يقـول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ

﴿وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية ٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [سورة الكهف، الآية ٤٩]، يجدون ما عملوا مصورًا موجودًا مدركًا أمام أعينهم كهيئته حين فعلوه.

وإذا كان الناس في عالم اليوم يمكن أن يسترجعوا ما حدث من عقود أو مئات السنين أو عشرات السنين مصوَّرًا أو مُتلْفزًا، فإن الإنسان يوم القيامة -بقدرة يمنحه الله إياها- سيرى المشهد الذي كان منه إن خيرًا وإن شرًّا، يقول ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [سورة الأنعام، الآية ٥٩]، أي: ما تسقط من ورقة في ليل أو في نهار في بر أو في بحر إلا يعلمها.

فقد يقف الإنسان في فصل الخريف بين الأشجار وتتساقط ملايين الأوراق ولا ينتبه لها، لكنَّ الأمر في علم

الله شيء آخر، حتى الورقة التي لا تظن أن ينتبه إليها أحد، وليس لسقوطها في نظرك أهمية، فإن الله يعلم متى سقطت؟ وأين سقطت؟ وهل سقطت أم أُسقطت؟.

بل أبعد من هذا، فالله ﷻ يعلم ما يجول في خاطرك من خير أو شر، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآيات ١٦- ١٨].

ومراقبتك لله ﷻ تعني اعتقادك الجازم بأن الله ﷻ لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، فصاحب الضمير الحي هو الذي يراقب الله ﷻ حق المراقبة، وقد قالوا: من الصعب أو ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان جنديًّا أو شرطيًّا أو حارسًا يحرسه، وحتى لو جعلنا لكل إنسان من يحرسه فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب يحتاج إلى من يراقبه، ولكن إذا ربَّينا وأيقظنا فيه ضميرًا حيًّا يخشى الله ﷻ ويحسن مراقبته فإن هذا الضمير الحي سيكون حكمًا عليه، وحاجزًا له عن الشر والمعاصي؛ لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

يـا ابـن آدم عش ما شـئت فإنـك ميـت، واعمل ما شـئت فإنك مجزيٌّ بـه، فعَنْ أَنَـس بْنِ مَالِـكٍ ﷺ، قَالَ: جَـاءَ مَلَـكُ الْمَوْتِ إِلَى نُـوحٍ عليه السلام، فَقَالَ: يَا أَطْـوَلَ النَّبِيِّينَ عُمْـرًا كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا وَلَذَّتَهَـا؟ قَالَ: «كَرَجُلٍ دَخَلَ بَيْتًـا لَهُ بَابَانِ، فَقَـامَ فِي وَسَـطِ الْبَيْتِ هُنَيَّـةً، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ»[1].

وعَن أَنَسٍ ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «ثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَـلاثٌ دَرَجَاتٌ، وَثَـلاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَـلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّـا الْكَفَّـارَاتُ: فَإِسْـبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّـبَرَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَـوَاتِ بَعْدَ الصَّلَـوَاتِ، وَنَقْلُ الأَقْـدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَأَمَّـا الدَّرَجَـاتُ: فَإِطْعَـامُ الطعـام، وإفشـاء السـلام، والصـلاة بالليـل وَالنَّـاسُ نِيَـامٌ، وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالـرِّضَا، وَالْقَصْـدُ فِي الْفَقْـرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»[2].

(١) الزهد، لأبي بكر ابن أبي الدنيا، ص١٦٥، أثر رقم: ٣٥٨، ط دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
(٢) مسند البزار، ١٣/ ١١٤، حديث رقم: ٦٤٩١.

والصوم من أكثر العبادات تضمنًا لمعنى المراقبة، حيث يقول الحق ﷻ في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1].

ذلك أن الإنسان في صومه فرضًا كان أو نفلًا لا يعلم صحة أو تمام صومه إلا الله ﷻ، يتمضمض الإنسان بالماء في فمه، مَنْ العليم بوصول الماء إلى حلقه أو عدم وصوله؟ إنه الله وحده، ويخلو الإنسان مع طعامه وشرابه، مَن الذي يعلم أمره كله سره وعلنه؟ إنَّه من يعلم السر وأخفى.

فمراقبة الله ﷻ تولد الخشية والخوف من الله؛ لأنك تعلم أنه مطلع وأنه قادر، يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٢].

إن مراقبة الله تعالى في السر والعلانية هي التي جعلت ابنة بائعة اللبن تتقي الله تعالى عندما نهى عمر بن الخطاب ﷺ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَاب هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ، حديث رقم: ١٩٥٤، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ١١٥١.

عن الغـش في اللـبن، فلم تخلـط اللبن بالماء، فعن عبد الله بن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن جده أسلم، قَالَ: «بَيْنَمَا أَنا مَعَ عمر بـن الْخطاب ﷺ وَهُوَ يعس بِالْمَدِينَةِ إِذْ أعيا فاتكأ على جَانب جِـدَار فِي جَـوف اللَّيْل، فَـإِذا امْرَأَة تَقـول لابنتها: يَـا بنتاه، قومِـي إِلَى ذَلِـك اللَّبن فامذقيـه بِالْمَـاءِ، فَقَالَت لَهَـا: يَا أمتاه، أَو مَـا علمت مَـا كَانَ من عَزمَة أَمِير الْمُؤمنِـينَ الْيَوْم؟ قَالَت: وَمَـا كَانَ من عزمته يَا بنية؟ قَالَـت: إِنَّه أَمر مناديًـا فَنَادَى أَن لَا يشـاب اللَّبن بِالْمَـاءِ، فَقَالَت لَهَـا: يَا بنتـاه، قومِي إِلى اللَّبن فامذقيـه بِالْمَـاءِ، فَإِنَّـك بِموضع لَا يـراك عمـر وَلَا مُنَـادِي عمـر، فَقَـالَت الصبية لأمهـا: يَـا أمتاه وَالله ما كنت لأطيعه فِي المـلإ وأعصيه فِي الخلاء، وَعمر يسـمع كل ذَلِـك، فَقَالَ: يَا أسـلم علِّمْ الْبَـاب واعرف الْمَوضع، ثمَّ مضى فِي عسسـه، فَلَمَّـا أصبـح قَـالَ: يَا أسـلم امْـضِ إِلَى الْمَوضـع فَانْظُر من القائلة وَمَن الْمَـقُول لَهَا، وَهل لَـهُما من بعل؟ فَأتيت الْمَوضع فَنَظَـرت، فَـإِذا الْجَارِيَة أَيِّـمٌ لَا بعل لَهَا، وَإِذا تيـك أمهَا، وَإِذا لَيْـسَ لَهَا رجل، فَأتيت عمر بن الْخطاب فَأَخْبَرته، فَدَعَا عمر وَلَده فَجَمعهُمْ، فَقَالَ: هَل فِيكُم من يحْتَاج إِلَى امْرَأَة أزَوجهُ؟ وَلَو كَانَ بأبيكم حَرَكَة إِلَى النِّسَاء مَا سبقه مِنْكُم أحد إِلَى هَذِه

الْجَارِيَـة، فَقَـالَ عبـد الله: لي زَوْجَـة، وَقَالَ عبـد الرحمن: لي زَوْجَة، وَقَالَ عَاصِم: يَا أبتاه لَا زَوْجَة لي فَزَوجني، فَبعث إِلَى الْجَارِيَـة فَزَوجهَا من عَاصِم، فَولـدت لعاصم بِنْتًا، وَولدت الْبِنْـت ابْنة، وَولدت الِابْنَة عمر بن عبد العزِيز رَحمَه الله»[1]، إنها بركة الأمانة وحسن المراقبة لله ﷻ.

وعـن نافع مولى ابـن عمر ﷺ قـال: «خرجت مع ابن عمـر ﷺ في بعـض نواحـي المدينـة ومعـه أصحـاب لـه، فوضعـوا سـفرة، فمـر بهـم راعٍ، فقـال له ابـن عمر ﷺ: هل لك أن تبيعنا شـاة من غنمـك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تقطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليسـت لي، إنها لمولاي، قال: فما عسـى أن يقول مولاك إن قلت: أكلها الذئـب؟ فمـضى الراعي وهـو رافعٌ إصبعه إلى السـماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأيـن الله؟ فما عدا أن قدم المدينة، فبعث إلى سـيده فاشـترى منه الراعي والغنم، فأعتـق الراعي، ووهب له الغنم»[2].

(١) أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته، لأبي بكر محمـد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيّ البغدادي، ص ٤٩، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، سورية، ١٩٨٠م / ١٤٠٠هـ.
(٢) صفـة الصفـوة، لجمال الدين أبـو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمـد الجوزي، ١/ ٤٠٢، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

إنـك إن تعففـت عـن الحـرام أمـدك الله بالحـلال، ولما سـأل سيدنا سـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الرسـول ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُـولَ الله، ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْـتَجَابَ الدَّعْـوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا سَـعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّـذِي نَفْـسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْـذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِـهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًـا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1].

فلم يأمـره بمزيد صـلاة، ولا بمزيد صيـام، ولا بمزيد صدقة إنما قـال: «أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْـتَجَابَ الدَّعْوَةِ»، وقـال ﷺ لأصحابه: «اسْـتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الحَيَـاءِ»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُـولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لله، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِـنَّ الِاسْـتِحْيَاءَ مِنَ الله حَـقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الـرَّأْسَ وَمَا وَعَـى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُـرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْـتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الحَيَاءِ»[2].

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٦/ ٣١٠، حديث رقم: ٦٤٩٥.
(٢) سـنن الترمـذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَـاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب بعده، حديث رقم: ٢٤٥٨.

الكـريـم الوهَّاب

«الكريم» اسـم من أسـماء الله الحسـنى، فالكريم الحق هـو الله، هـو الكريـم في ذاته، الكريـم في صفاتـه، الكريم في عطائـه الـذي لا ينفد، و«الوهَّاب» اسـم من أسـماء الله الحسـنى، فهـو ﷻ المتفضـل بالعطايا والنعـم، الذي يهب الخير العميم ويجود بالعطاء الـوفـير، فيعطي ما يشـاء متى يشاء لمن يشاء بلا حساب ولا عوض.

فالهبـة هي العطية بلا عـوض، أيًّا كان نوعها، وربنا ﷻ هو العزيـز الوهَّاب، حيث يقول ﷻ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [سـورة ص، الآية ٩]، ويهب الملك لمن يشـاء، حيث يقول ﷻ على لسـان سيدنا سـليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [سـورة ص،

الآيات ٣٥ – ٣٨]، ويهب الولد لمن يشاء، حيث يقول ﷻ عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٢٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[سورة ص، الآية ٣٠]، ويقول ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة الشورى، الآيتان ٤٩، ٥٠].

ولفظ الكريم له معانٍ متعددة، منها الجواد، ومنها الصفوح، ومنها العزيز، فهو الكريم في ذاته الذي له العز، لا يُضاهيه ولا يُدانيه ولا يُشبهه أحد، وهو العاطي الوهَّاب، يقول ﷻ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١١٦]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [سورة الانفطار، الآية ٦].

وهو الكريم الذي يغفر الزلات، كل ذلك من فضله وكرمه، وليس ﷻ كريمًا فحسب؛ بل هو الأعزُّ الأكرم حيث يقول ﷻ لنبينا ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [سورة العلق، الآيات ١-٣].

وهو الأكرم الذي لا يوازي كرَمه كرَمٌ، ولا يُضاهيه في كرمه نظير، وهو ﷻ أكرم الأكرمين، وهو الذي عم الجميع بفضله وعطائه، يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا لَيْسَ فِيهِمَا شَيْءٌ»[1].

وقد كان النبي ﷺ أعلم الناس بمعنى الكريم، فكان أكرم الناس وأجود الناس، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ٣١، حديث رقم: ٤٥٩١.

السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ[1]، ويقول ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2].

ويقول ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦١]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابٌ فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ، حديث رقم ٢٣٠٧ .

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [سورة الليل، الآية ٦] «اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا»، حديث رقم: ١٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث رقم: ١٠١٠.

﴿مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآيتان ٨، ٩]، ويقول ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢].

وفي الحديث القدسي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ الله: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»(١)، وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٢).

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ،

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب النفقات، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ، حديث رقم: ٥٣٥٢، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، حديث رقم: ٩٩٣.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلَامِ، حديث رقم: ١٢، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأيّ أموره أفضل، حديث رقم: ٣٩.

وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1].

لقد حثَّ النبي ﷺ عند مقدمه المدينة على أربع خصال: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وهذه الثلاثة تتعلق بحقوق الخلق، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام تتعلق بحق الخالق ﷻ.

وعن فضل الجود والكرم يقول ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

وفي الحديث: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ»[3]، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ،

(١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١٣٣٤.
(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي حَقِّهِ، حديث رقم: ١٤٠٩، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم: ٨١٦.
(٣) صحيح مسلم، كتب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم: ٢٣١٢.

عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1]، ويقول الشافعي رحمه الله[2]:

تستر بالسخاء فكل عيب

يغطيه - كما قيل - السخاء

ولا ترجُ السماحة من بخيل

فما في النار للظمآن ماء

ومن نزلت بساحته المنايا

(١) سنن الترمذي، أبواب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حديث رقم: ٢٣٢٥.
(٢) ديوان الإمام الشافعي رحمه الله، ص٣٦.

فــلا أرضٌ تقيــه ولا سمــاء

وأرض الله واسـعـة ولكـــن

إذا حل القضـا ضـاق الفضاء

ليس لك إلا ما أكلـتَ فأفنيـت، أو لبسـتَ فأبليـت، أو تصدقتَ فأبقيت، هذا هو الباقي، وقدموا لأنفسكم.

والتعـرض لفضـل الله الكريم الوهَّاب يتطلب أمرين: الأول شـكر الله الوهَّـاب، فهـو صاحب الفضـل الذي يزيد الشـاكرين مـن فضلـه، والآخـر: كثـرة التـضرع إلى الله ﷻ واللجـوء إليه، وتـرك المنكـرات، وفعل الخـيرات، حيـث يقول ﷺ عن سـيدنا إبراهيـم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۞ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [سـورة مريـم، الآيتـان ٤٩، ٥٠]، ويقـول ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٩، ٩٠].

وهِبَاتُ الخَالق ﷻ لا تُعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة النحل، الآية ١٨]، وقد شملت كل أنواع العطايا وعمَّت جميع الخلق، أما هبة المخلوق فهي قليلة منقطعة، فيمكن لبعض الخلق أن يعطوا أحدًا من الخلق شيئًا من المال أو الجاه أو المنفعة، لكنهم لن يعطوه إلا ما كتبه الله تعالى له، وما أراد الله تعالى إجراءه على أيديهم له، ولكن لو اجتمع الخلق جميعًا على أن يعطوا ولدًا لعقيم، أو صحةً لسقيم، أو هدايةً لعاصٍ فلن يملكوا من ذلك شيئًا، قال الخَطّابي: «والمخْلوقون إنما يَمْلكون أنْ يهبوا مَالًا أو نَوالًا؛ في حَالٍ دون حالٍ، ولا يَملكون أنْ يَهبُوا شفاءً لسَقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هُدى لضالٍ، ولا عَافيةً لذي بلاءٍ، والله الوهَّاب ﷻ يَملك جميعَ ذلك، وسِعَ الخَلقَ جودُهُ، فدامتْ مَوَاهبه؛ واتَّصلت مِنَنه وعَوَائده، وأكثر الخَلْق إنّما يَهَبون من أجل عوضٍ ينالونه، كأن يهب لأجل أنْ يُمدح بين الناس، أو يَهَب من أجل الثواب في الآخرة[1].

(١) شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ص ٥٣، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ط دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

البَرُّ الودود المنَّان

من أسماء الله ﷻ الحسنى: «البَرُّ»، «الودود»، «المنَّان»، فهو البر العطوف على خلقه الرفيق بهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور، الآية ٢٨]، وهو الذي يريد بخلقه اليسر ولا يريد بهم العسر، يعفو عن زلاتهم، ويضاعف حسناتهم، ويحب الأبرار من عباده، يقول ﷻ على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٣٢]، ويقول ﷻ عن سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ١٤]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [سورة الانفطار، الآية ١٣].

وهو ﷻ الودود لمن أناب إليه واستعصم به، حيث يقول ﷻ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [سورة هود، الآية: ٩٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ

ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [سورة البروج، الآية ١٤]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٩٦].

والله ﷻ يحب عباده ويتودد إليهم، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٤]، فقدم ﷻ حبّه لعباده على حبّهم له، ولم يعلقه عليه، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله قَالَ: «مَن عادَى لِي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَـرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إِلَيَّ ممَّـا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْـمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْـصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَـهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَـأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْـتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[1]، ويقول ﷺ: "إِذَا أَحَبَّ الله العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلاَنًـا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَـادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، حديث رقم: ٦٥٠٢.

لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ"[1]، وعَنِ الحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: «سَمِعْتُ عُتْبَةَ، يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ»[2].

وهو ﷻ المنّان المحسن إلى خلقه وعباده، من المنّ بمعنى العطاء والإحسان، وعليه حديث نبينا ﷺ حيث يقول: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ[3] فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ"[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ المَلَائِكَةِ، حديث رقم: ٣٢٠٩، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ، حديث رقم: ٢٦٣٧.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، ٦/ ٢٣٦، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٣) (الخوخة) هو موضع المرور كالباب.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ، حديث رقم: ٤٦٧.

[سورة آل عمران، الآية ١٦٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الصافات، الآيتان ١١٤، ١١٥]، ويقول ﷻ على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية ٩٠].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا الله بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[1].

فربُّ العزة ﷻ هو البَرُّ، وهو الرحيم، وهو الودود، وهو المَنَّان، وعلينا أن نأخذ من معاني هذه الأسماء ما نجعله نبراسًا في حياتنا برًّا بخلق الله ودولهم.

(١) سنن أبي داود، أَبْوَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْزِيبِهِ وَتَرْتِيلِهِ، بَابُ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٩٥.

وأولى الناس بالبر الوالدان، حيث يقول الحق: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٣]، ولما سأل رجلٌ النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[1].

ويأتي بعد الوالدين ذوو الأرحام والقربى، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨]، ويقول نبينا ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة ﷻ: يقول الله ﷻ: «أَنَا الله، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابٌ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، حديث رقم: ٥٩٧١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، حديث رقم: ٢٥٤٨.

وَصَلْتُـهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[1]، ويقول ﷺ: «الرَّحِمُ شِـجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَـا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَـا قَطَعْتُهُ»[2]، وعَنْ حَكِيم بْنِ حِزَام رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الصَّدَقَاتِ، أَيُّهَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»[3].

❊ ❊ ❊

(١)) مسند أحمد، ٣/ ٢١٦، حديث رقم: ١٦٨٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ الله، حديث رقم: ٥٩٨٩.
(٣) مسند أحمد، ٢٤/ ٣٦، حديث رقم ١٥٣٢٠، والكاشِح: العَدُوُّ الَّذِي يُضْمِر عَداوَته ويَطْوِي عَلَيْهَا كَشْحَه: أَيْ باطِنَه . النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٧٥).

الغنيُّ المغني المعزّ المذلّ

الغنيُّ المغني هو الله، وما سواه مفتقر إليه، حيث يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر، الآية ١٥].

فهو كامل في ذاته وصفاته، له الكمال والجمال، منزه عن كل نقص، وجميع الخلائق مفتقرون إليه في طلب مصالحهم ودفع المضار عنهم في أمور دينهم ودنياهم، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٧]، ولا تقصد إلى إنفاق الخبيث الذي لا يقبل ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٧]، ضع نفسك مكان الآخذ، فالمعطي اليوم قد يكون آخذًا غدًا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ [سورة البقرة،

الآية ٢٦٧]، غني عنكم وعن إنفاقكم، حميد لمن يحسن العطاء.

ويقول ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٣٣]، ويقول ﷻ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة الحج، الآية ٦٤]، ويقول ﷻ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [سورة محمد، الآية ٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد، الآية ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٣]، غنيٌّ عن صدقتكم التي يتبعها المن والأذى، والتي تؤذون بها المحتاجين، حليم عليكم يمهل ولا يهمل، فاعملوا لحلمه ألف حساب.

ويقول ﷻ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٧].

واقترن اسم الله ﷻ "الغنيّ" باسمه ﷻ "الحميد"؛ لأن الله ﷻ هو الغنيُّ عن خلقه المستحق للحمد في ذاته، النافع خلقه بغناه، وليس كلُّ غنيٍّ نافعًا بغناه، إلا إذا كان الغنيُّ جَوَادًا مُنعِمًا، فهو ﷻ المستحق للحمد بذاته، وهو المستحق للحمد بإنعامه على خلقه، يقول نبينا ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة ﷻ، يقول الله ﷻ: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ"[1].

على أنه ﷻ لا تنفعه طاعة مَن أطاع ولا تضره معصية مَن عصى، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، حيث

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧.

يقول ﷺ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧]، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: «مَا بَالُ هَذَا؟»، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ»[1]، وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[2].

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، بَابُ مَنْ نَذَرَ المَشْيَ إِلَى الكَعْبَةِ، حديث رقم: ١٨٦٥، وصحيح مسلم، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، حديث رقم: ١٦٤٢.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب النكاح، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، حديث رقم: ٥٠٦٣ واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، حديث رقم: ١٤٠١.

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: "حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ"(١).

وهو وحده المغني المعز المذل، الخافض الرافع، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٢٦]، يهب ما يشاء لمن يشاء متى شاء، وينزع ما يشاء عمن يشاء متى شاء.

ومن يستغن ويأخذ بأسباب الغنى يُغْنِهِ الله (تعالى) من واسع فضله، يقول ﷺ: «... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم: ١١٥٠، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، حديث رقم: ٧٨٤، واللفظ له.

الله عَلَيْـكَ، رُفِعَـتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُـفُ»[1]، ولله در القائل[2]:

لا تَخضَعَنَّ لِمَخلوقٍ عَلى طَمَـعٍ

فَإِنَّ ذَلِكَ نقصٌ مِنكَ في الدينِ

لن يقدر العبدُ أن يعطيك خردلةً

إلاّ بإذن الذي سوَّاك من طينِ

ويقول الآخر[3]:

لا تسـألـن بُنيَّ آدم حـاجـــةً

وسل الـذي أبوابـه لا تُحْجَبُ

الله يغضبُ إن تـركت سؤالـه

وبُنَيَّ آدم حينَ يُسـألُ يغضبُ

(١) سـنن الترمـذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَـةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَـاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ، باب بعده، حديث رقم: ٢٥١٦.

(٢) الأغاني للأصفهاني، ٢٠/ ٧٠.

(٣) شـعب الإيمان للبيهقـي، ٢/ ٣٥، الشـعبة الثانية عشرة، برقـم: ١١٠٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ١/ ٥٥٦.

فضـلًا عن أن الإنسـان الذي تعتمد عليه قـد يعجز، أو لا يسـتطيع، وقد قالوا: من اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد عـلى علمـه ضلَّ، ومن اعتمـد على الناس مـلَّ، ومن اعتمد على سـلطانه ذلَّ، ومن اعتمد عـلى عقله اختلَّ، ومن اعتمد على الله فلا قلَّ، ولا ضلَّ، ولا ملَّ، ولا ذلَّ، ولا اختلَّ؛ لأنه يعتمد على الغنيِّ المغني الذي أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون.

وكان نبينـا ﷺ يقـول في دعائـه: "اللهـمَّ إِنِّي أَسْـأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَـى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَـى"[1]، ويقول ﷺ: «اللهمَّ اكْـفِنِي بِحَـلَالِـكَ عَنْ حَـرَامِـكَ، وَأَغْنِنِـي بِفَضْـلِكَ عَمَّنْ سِـوَاكَ»[2]، وكان ﷺ يقـول: «اليَـدُ العُلْيَا خَـيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّـفْلَى، وابْـدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَـيْرُ الصَّدَقَةِ عـن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»[3].

(١) صحيح مسـلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاسـتغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢١.

(٢) سـنن الترمـذي، أَبْوَابُ الدَّعَـوَاتِ، بَاب فِي فَضْـلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْـتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِـنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ، باب بعده، حديث رقم: ٣٥٦٣.

(٣) متفـق عليـه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ لَا صَدَقَـةَ إِلاَّ عَنْ ظَهْرِ غِنًى حديث رقم: ١٤٢٧ واللفـظ لـه، وصحيـح مسـلم، كتاب الـزكاة، باب بيـان أن اليد العليا خـير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، حديث رقم: ١٠٣٣.

وهو ﷻ المعز المذل، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وقد قال نبينا ﷺ لسيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ؟ فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الدَّينِ مِثْلُ جَبَلِ صَبِرٍ أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ - وَصَبِرٌ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ- فَادْعُ بِهِ يَا مُعَاذُ قُلِ: اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا، وتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»[1].

فالغنيُّ من الخلق من أغناه الله بالقناعة والرضا، حيث يقول نبينا ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[2]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ١٥٤، حديث رقم: ٣٢٣.
(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ، حديث رقم: ٦٤٤٦.

الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[1]، ويقول ﷺ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»[2]، ويقول نبينا ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[3].

والعزيز من الخلق من أعزه الله، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية ٨]، فلا عزَّ فوق عزِّ الإيمان، وعزِّ الطاعة، ولا ذلَّ فوق ذلِّ المعصية.

* * *

(١) سنن ابن ماجه، كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ، حديث رقم: ٢١٤٤.
(٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بَابٌ: مَنْ اتَّقَى الْمَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، حديث رقم: ٢٣٠٥.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، حديث رقم: ١٠٥٤.

الغفور التَّوَّاب

إن ربنا ﷻ هو الغفور، وهو الغفَّار، وهو التَّوَّاب الرحيم، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٤]، ويقول ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٦٠]، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

ويقول الحق ﷻ في الحديث القدسي: "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا

(١) صحيح مسلم، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٩.

ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1]، ويقول نبينا ﷺ: «لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[2].

والتوبة النصوح هي التي تقوم على ترك الذنب مع الندم عليه والعزم على عدم العود إليه، واستدراك ما أمكن منه، وقضاء حقوق الخلق.

وقال بعضهم: التوبة التَّامَّة هي التي تجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل، أما التوبة النصوح فهي التي تصل بحال القلب إلى بغض المعصية، فلا تخطر للإنسان على بال

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ، باب منه، حديث رقم: ٣٥٤٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب التَّوْبَة، بَابُ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا، حديث رقم: ٢٧٤٧.

من شدة بغضه لها وندمه عليها، ويقال لمن خاف العقاب صاحب توبة، ولمن يرجو الثواب صاحب إنابة، ولمن يتوب بمحض مراعاة الأمر صاحب أوبة، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، يقول الحق ﷻ عن سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، الآية ٤٤].

مع التأكيد على أن حقوق العباد لا تسقط بمجرد الندم عليها، بل لا بد من ردها لأصحابها، أو استحلالهم منها، يقول نبينا ﷺ يومًا لأصحابه: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[1].

ويقول ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ،

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨١.

إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ"[1]، وقال ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[2]، أي: لا بد من الوفاء بحق الناس.

فإن كنت قد ظلمت أحدًا أو أكلت مال أحد أو تجاوزت في حق أحد فعليك أن تبادر باستسماحه وردّ حقه إليه قبل ألا يكون درهم ولا دينار، قبل أن تكون حسنات وسيئات، فالتوبة الصادقة تورث حب الله ﷻ، وتورث الندم على حب المعصية، وتدفع إلى رد الحقوق إلى أهلها، وهي التي تؤدي إلى حب الله ﷻ حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٢٢]، فهؤلاء هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات، حيث يقول ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

(١) صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ، هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ، حديث رقم: ٢٤٤٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَابِ، بَابُ تُحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٢.

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية ٧٠]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [سورة التحريم، الآية ٨].

وقد فتح رب العزة الغفور التَّوَّاب باب التوبة واسعًا، يقول تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر، الآية٥٣]، يقول عَبْدُ الله بن مسعود، وَعلي بن أبي طالب ﷺ عن هذه الآية: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٌ فِي كِتَابِ الله[1].

فإذا كان هذا خطاب الله لعباده المسرفين على أنفسهم، فما بالكم بخطابه لعباده المخلصين، يقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(١) البحر المحيط في التفسير ٩ / ٢١١ .

ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية ٢٧]، ويقول نبينا ﷺ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[1]، وعليه عدَّ العلماء اليأس والتيئيس والإحباط والتحبيط والقنوط من رحمة الله إثمًا كبيرًا؛ لأن رحمة الله واسعة، ولأن فضل الله عظيم.

كما أن فعل الحسنات أحد أهم أبواب قبول التوبة وغفران السيئات، حيث يقول ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود، الآية ١١٤]،

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، حديث رقم: ٢٧٥٨ .

ويقول نبينا ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

* * *

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، حديث رقم: ١٩٨٧.

الشَّهِيد

من أسماء الله الحسنى (الشَّهِيد)، فهو الشاهد العلِيم الخبير الحفيظ، عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية ٣٣]، عالمًا، حاضرًا، مراقبًا، ويقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة يونس، الآية ٤٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد، الآية ٤٣]، ويقول تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٦٦].

وقد أمرنا ﷻ بشهادة الحق والعدل، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، [سورة النساء، الآية ١٣٥]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٨].

وقد تكرر لفظ الشَّهيد كثيرًا في القرآن الكريم، ليأخذ الخلق العظة والعبرة، ويحسنوا مراقبتهم لله ﷻ؛ فإنه ﷻ مطلع عليهم، عالم بهم، يقول ﷻ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان ٦، ٧]، ويقول ﷻ على لسان لقمان عليه السلام في وصيته لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان،

الآيـة ١٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يونس، الآية ٦١].

ويقـول ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة، الآيتان ١١٦، ١١٧].

فرب العزة ﷻ شاهد حاضر، شهيد على أعمالنا يحصيها علينا، والرسـول ﷺ يشـهد على أمته يوم القيامة، والملائكة يسجلون ويشـهدون، حيث يقول ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا *

يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [سورة النساء، الآيتان ٤١، ٤٢].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ بِشَهِيدٖ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[1]، ويقول ﷻ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾[سورة الزخرف، الآية ٨٠].

كما أن الجوارح والأعضاء تشهد على الإنسان، يقول الحق ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِ المُقْرِئِ لِلقَارِئِ حَسْبُكَ، حديث رقم: ٥٠٥٠، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ المُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ اسْتِمَاعِ القُرْآنِ، وَطَلَبِ القِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ لِلاسْتِمَاعِ وَالبُكَاءِ عِنْدَ القِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ، حديث رقم: ٨٠٠، والآية من سورة النساء، الآية ٤١.

هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [سورة النور، الآيتان ٢٤، ٢٥]، ويقول ﷻ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[سورة يس، الآية ٦٥].

ومن أدرك أن ربه مراقب ومطلع وشـهيد كيف يعصيه، يقول الشاعر:

إِذَا مَـا خَلَـوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِـنْ قُـلْ عَلَـيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَـحْسَبَنَّ اللـهَ يَـغْفُلُ سَاعَةً

وَلَا أَنَّ مَـا يَـخْـفَـى عَـلَـيْكَ يَغِيبُ(١)

فأعضـاؤك ستشـهد عليـك، والزمـان يشـهد عليـك، والمكان يشـهد عليك، والرسـول ﷺ يشهد عليك، فراقب الشَّهِيد الرقيب تفُزْ وتسْلَم.

* * *

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٨.

العزِيز

من أسماء الله الحسنى اسم الله ﷻ «العزِيز»، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٩]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٨].

واقترن اسم الله ﷻ "العزِيز" باسمه ﷻ «الغفور» وباسمه ﷻ «الغفَّار» في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [سورة ص، الآية ٦٦].

ومن معاني العزِيز: القوي المتين العلي المنيع الذي لا يُنال جنابه، ومنها: أنه ﷻ القاهر الذي لا يُغلب ولا يُقهر، ومنها: أنه ﷻ هو العالي القدر الذي لا ندَّ له، ولا شبيه ولا نظير.

واقترن اسم الله تعالى (العزِيز) باسمه ﷻ (الوهَّاب)، قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾

(ص: آيـة ٩)، للدلالة على أن تصرفه ﷻ في صنوف العطاء المادي والمعنـوي لا ينازعه فيه منازع ولا يغالبه فيه مغالب، لا مانـع لما أعطـى ولا مُعطي لما منـع، ولا ينوب عنه نائب، ولا يصل عطاء معْطٍ إلى مُعْطَى إلا بإذنه، يقول الشاعر:

لا تخضعنّ لمخلـوق علـى طمعٍ

فإن ذاك مُضـرٌّ منــك بالـدِّين

لن يقدرَ العــبدُ أن يعطيَك خَرْدلةً

إلا بإذنِ الذي سـوَّاك مِن طينِ

واسترزقِ اللهَ ممّـا في خـزائنِــه

فإنَّ رزقَك بينَ الكافِ والنُّون[1]

فعـزتــه ﷻ متضمنـة الإنعــام عـلى خلقــه، فـإن أراد التفضـل عليهـم تفضلًا وإنعامًـا فإن ذلك إنمــا يكون عن عزة وقوة ومنعة وغنى.

واقترن اسـمـه تعـالى (العزيـز) باسـمه ﷻ "المقتدر"، حيـث يقـول ﷻ: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ

(١) الأغاني للأصفهاني، ٢٠/ ٧٠.

مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر، الآية ٤٢]، واقترن اسمه تعالى (العزيز) باسمه ﷻ (العليم)، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة النمل، الآية ٧٨]، كما اقترن اسم الله ﷻ (العزيز) باسمه ﷻ (القوي)، حيث يقول ﷻ: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج، الآية ٧٤]، ويقول ﷻ: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٢٥].

وهناك آثار تترتب على معرفة اسم الله ﷻ العزيز:

منها: أن العزة كلها لله ﷻ، عزة القوي العليم، فالله هو القوي العزيز، حيث يقول ﷻ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [سورة فاطر، الآية ١٠].

وقد جمع ﷻ بين العزة والعلم في خلق السموات والأرض، فيقول تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٩]، ويقول تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [سورة الأنعام، ٩٦].

ومنها: إدراك أن العزيز هو من أعزه الله، والغنيَّ من أغناه الله، فقد أعز الله تعالى أنبياءه ورسله، وأعز كتابه ووصفه بأنه كتاب عزيز، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت، الآيتان ٤١، ٤٢]، ويقول ﷻ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآيات ٧٥-٧٩].

ومن أراد أن ينال العزة من الله تعالى فعليه أولًا بطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، وعليه بالتواضع لخلق الله، يقول نبينا ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ

اللهُ عَبْـدًا بِعَفْـوٍ إِلَّا عِـزًّا، وَمَا تَـوَاضَـعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ"[1]، وقالوا:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ

على صفحات الماء وهو رفيـع

ولا تكُ كالـدخّان يعلو بنفسـه

إلى طبقات الجوّ وهو وضيع[2]

* * *

(١) صحيح مسـلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، حديث رقم: ٢٥٨٨.

(٢) غـرر الخصائـص الواضحة، وعـرر النقائض الفاضحة؛ لأبي إسـحق برهـان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيي بعلي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨ هـ)، ص ٥٣.

الشَّكُور

من أسماء الله ﷻ (الشَّكُور)، والشَّكُور هو: الذي يشكر على القليل من الطاعات فيثيب عليها بعظيم الثواب وجزيل العطاء، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [سورة فاطر، الآيتان ٢٩، ٣٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآية ٣٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [سورة الشورى، الآية ٢٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٥٨]، ويقول ﷻ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٧]، والشكر سبيل المزيد، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٧].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل، الآية ٤٠]، ويقول ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر، الآية ٧]، ويقول ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سورة سبأ، الآيتان ١٥، ١٦].

قال القرطبي: وللشكر ثلاثة أركان: الركن الأول: هو الاعتراف بنعمة الله ﷻ، وأن تدرك أن الله تعالى هو صاحب الفضل والمنة، وأن النعمة منه وحده، والركن الثاني: أن تستعين بالنعمة على طاعة الله ﷻ، والركن الثالث: فهو أن تشكر من

أجـرى الله لك النعمة على يديه[1] فتكون النعمة سـبيلك إلى الخير وفي الخير، يقول النبي ﷺ: "إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَـهُ الله مَـالًا وَعِلْمًا فَهُـوَ يَتَّقِي فِيـهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيـهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِـلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لله فِيـهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْـدٍ لَمْ يَرْزُقْـهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُـوَ يَقُـولُ: لَـوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيـهِ بِعَمَـلِ فُـلَانٍ فَهُـوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَـا سَوَاءٌ"[2].

كذلك من الشكـر أن تشكـر من أجرى الله النعمة لك على يديه، يقول نبينـا ﷺ: "لا يَشْكُـرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس"[3]، وفي الحديـث القدسي يقـول رب العزة ﷻ: "لَمْ تَشْـكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ"[4]، ويقول ﷺ: «وَمَنْ صَنَعَ

(١) انظر تفسير القرطبي، ١٤ / ٢٦٧، وما بعدها .
(٢) سبق تخريجه، ص ١٤٤ ..
(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شُكرِ المعروف، حديث رقم: ٤٨١١.
(٤) المعجم الأوسط، ٤/ ٥٠، حديث رقم: ٣٥٨٠.

إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1]، ويقول ﷺ: "مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ"[2].

وشُكْرُ من كان سببًا في وصول النعمة إليك من خلق الله سببٌ في دوام المعروف والتعاون على البر والتقوى بين الناس.

والشكر لا يكون بالكلام وحده، وإنما يكون بالقول والعمل، فيكون بالقلب اعترافًا وخضوعًا وتسليمًا لله ﷻ، ويكون باللسان قولًا وحمدًا، ويكون بالجوارح عملًا وطاعة، يقول ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ، الآية ١٣]، فشكر المال بإنفاقه في سبيل الله، وشكر الصحة أن تعين الضعيف وتأخذ بيده، وشكر العلم تعليمه للناس، وهكذا في سائر النعم.

والنعم تدوم بالشكر، وتزول بالجحود والكفران، وقد حذرنا القرآن الكريم في مواضع عديدة من كفران

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله ﷻ، حديث رقم: ١٦٧٢.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١/ ١١٥، حديث رقم: ٢١١.

النعمة وعدم الوفاء بحقها، من هذا ما جاء في سورة القلم، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۞ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۞ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۞ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۞ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۞ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۞ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة القلم، الآيات ١٧ - ٣٦].

ثم إنك إن شكرت فلنفسك وإن كفرت فإن ربك غني كريم، ولو شاء ربك لأغنى الناس جميعًا بفضله، ولكن ليبلو بعضكم ببعض، فأدوا حق الله في المال، أدوا حق الله في العلم، أدوا حق الله في الجاه، أدوا حق الله في الصحة، في طاعة الله، في الإحسان إلى الفقراء والمساكين.

وإن من شكر نعم الله تعالى إعمالها في إعانة خلق الله ﷻ، فعن ابن عمر ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لله أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا يَبْذُلُونَهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إلى غَيْرِهِمْ»(١)، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا، فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً، فَمَشَى إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا، فَمَسَحَهَا ثُمَّ أَكَلَهَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ الله، فَإِنَّهَا قَلَّ مَا تَزُولُ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِمْ»(٢).

* * *

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٣/ ٢٠٧، حديث رقم ١٣٩٢٥ .
(٢) المعجم الأوسط، ٦/ ٢٩٣، حديث رقم ٦٤٥١ .

الحكمُ العــدلُ

الله ﷻ هو الحكم العدل، فالحكم اسم من أسمائه الحسنى، فهو الـذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، وهو أحكم الحاكمين، وهو أسرع الحاسـبين، له الحكم وله الأمر، يقول ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [سـورة الأنعام، الآية ٦٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سـورة القصص، الآيـة ٧٠]، ويقول ﷻ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [سـورة الأنعام، الآية ٥٧]، ويقـول ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٠].

وهـو أحكم الحاكمين، يقول ﷻ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۞ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۞ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۞ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [سورة التين، الآيات ١-٨]، بلى ونحن على ذلك من الشاهدين.

وفي الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا"[1]، فيجب أن نتحلى جميعًا بالعدل، وندرك أن هناك محكمة عظيمة في الآخرة هي محكمة العدل الإلهية، شعارها قوله ﷻ: ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [سورة غافر، الآية ١٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٤٦]، ميزانها شديد الدقة، يقول ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٤٧].

إنها محكمة العدل الإلهية التي لا مجال فيها على الإطلاق لشهادة الزور، ولا لنكران الأدلة أو طمسها أو إخفائها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٧.

شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة فصلت، الآيات ٢٠ - ٢٢]، ويقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان ١٣، ١٤].

محكمة لا مجال فيها لنقض الأحكام، حيث يقول ﷻ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق، الآية ٢٩]، وليس فيها أحكام غيابية، تنتظر إعادة الحكم حضوريًّا، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [سورة يس، الآية ٣٢]؛ إذ لا مجال لعدم الحضور أو للهروب منه ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية ٢١]، أي: يُدفَع دفعًا.

وأحكام هذه المحكمة نهائية، والتنفيذ فيها فوري فلا مجال للهروب أو التسويف، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ

حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحاقة، الآيات ١٩ - ٣٣]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [سورة الانشقاق، الآيات ٦ - ١٤].

والذي لا شك فيه أن البشر جميعًا سيقفون أمام هذه المحكمة لن يفلت ولن يتخلف منهم أحد أبدًا ولن يستطيع، يقول الحق ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [سورة الصافات، الآية ٢٤]، فماذا أعددت لهذا السؤال؟

لقد أرسل الحق ﷻ رسله بالحق والعدل، يقول ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية ٢٥]، ويقول ﷻ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية ١٥]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية ٥٨]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٩٠].

ولأهمية العدل جعل ديننا الحنيف جزاء الحاكم العادل عظيمًا ودعوته مستجابة، يقول نبينا ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ

الـرَّبُّ ﷻ: وَعِـزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَـوْ بَعْدَ حِـينٍ»[1]، ويقـول النَّبِيّ ﷺ: «سَـبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّـهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّـهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَـابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَـاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَـالَ: إِنِّي أَخَـافُ الله، وَرَجُـلٌ تَصَـدَّقَ، أَخْفَـى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِـمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[2]، وفي الحديث يقـول ﷺ: إِنَّ مِـنْ إِجْـلَالِ الله إِكْـرَامَ ذِي الشَّـيْبَةِ المُسْـلِمِ، وَحَامِـلِ الْقُـرْآنِ غَيْرِ الْغَـالِي فِيهِ، وَالْجَـافِي عَنْـهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»[3].

فـالله عدل يحب العدل، ويحب القسـط ويأمـر به، وجعل جـزاء المقسطين عظيمًا، ومكانتهم عالية رفيعة، يقول نبينا ﷺ: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ

(١) سـنن الترمـذي، أَبْـوَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ عَنْ رَسُـولِ الله ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَـةِ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، حديث رقم: ٢٥٢٦.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَذَانِ ، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ المَسَـاجِدِ، حديث رقم: ٦٦٠، واللفظ له، وصحيح مسـلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١.

(٣) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، حديث رقم: ٤٨٤٣.

وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا"[1]، ويقول ﷺ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»[2].

إن العدل من الأمور الثابتة الراسخة التي أجمعت عليها الشرائع السماوية، يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الوصايا العشر التي جاءت في أواخر سورة الأنعام، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٥٢]، يقول: هذه الوصايا ثابتة في جميع الشرائع والملل لم تنسخ في أي ملة من الملل[3].

فالعدل ميثاق الله في الأرض الذي وضعه للناس، وقد قيل: إن الله ﷻ قد ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو ادعت أنها مسلمة أو مؤمنة؛

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ١٨٢٧.
(٢) سنن أبي داود، أَبْوَابُ الإِجَارَةِ، بَابٌ فِي الْقَاضِي يُخْطِئُ، حديث رقم: ٣٥٧٣.
(٣) تفسير القرطبي، ٧/ ١٣٢.

لأن من آمن بالحق يعدل ومن أسلم بحق يعدل، وإسلام الوجه لله يؤدي للعدل، فمن آمن وأسلم كان عادلًا.

على أن العدل الذي ننشده ونحث عليه ونؤمن به هو العدل على كل المستويات، فالعدل ليس مسئولية شخص واحد، العدل يكون على مستوى الفرد، يبدأ من الأسرة بالعدل بين الأبناء، وبين الزملاء، وبين الطلاب، المعلم يعدل بين طلابه، والوالد يعدل بين أبنائه، والوالدة تعدل بين أبنائها، ومدير المستشفى يعدل بين مرؤوسيه، وصاحب المصنع ومدير المصنع ومدير الشركة، وكل إنسان يعدل فيما ولاه الله عليه، يقول نبينا ﷺ: «مَنْ وَلِيَ عَشَرَةً فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَحَبُّوا أَوْ كَرِهُوا جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَشْدُودَةٌ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَإِنْ كَانَ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله زِيدَ غِلًّا إِلَى غِلِّهِ، وَإِنْ كَانَ حَكَمَ بِمَا أَنْزَلَ الله، وَلَمْ يَحِفْ فِي حُكْمٍ، وَلَمْ يَرْتَشِ فِيهِ أُطْلِقَتْ يَمِينُهُ»[1].

فعلى كل من ولي شيئًا على أي مستوى من المستويات؛ حتى لو كان رئيسًا على عمال، أو على وردية من العمل، أو

(١)) المعجم الأوسط للطبراني، ٧/ ٨٧، حديث رقم: ٦٩٣٣.

عـلى جماعة ممـن يعملون، وجب عليه أن يعـدل، وألا يظلم فيـها ولاه الله عليـه، فـالله عـدل يحـب العدل، نسـأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

* * *

من أسماء الله الحسنى

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم، أو في أحاديث نبينا ﷺ فضلًا عمَّا سلف ذكره الأسماء التالية:

الملك: هو الذي يستغني بذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كلُّ موجود، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم، الآية ٩٣].

المؤمن: هو الذي يمنح الطمأنينة والأمان، ويُذهِب القلق والخوف، فهو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [سورة قريش، الآية ٤].

المهيمن: هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، فلا يغيب عن سلطانه شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، فهو يرقب ملكوته كله رقابة استيعاب وشهود.

البـارئ: هو الذي خلـق الأحياء، فيقال: بارئ النَّسَـم، أي الأرواح.

المصور: هو منشـئ الخلق على صور شتى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٦]، ويقول ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[سورة التين، الآية ٤]، ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار، الآية ٧].

الغفَّار: هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، وهو الذي يتجدد غفرانه لعباده مع تجدد عصيانهم له.

القهَّار: هو الذي أخضع كل شيء لعظمته، فلا يخرج شيء عـن ملكه وسـلطانـه، يقـول ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [سورة الرعد، الآية ١٦]، ويقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [سورة ص، الآية ٦٥]، فمـا من مخلوق إلا وهو خاضع تحت قهره وسلطانه.

اللطيـف: هو الذي يعلم دقائـق المصالح وغوامضها، ثم يسـلك في إيصالها إلى العبد سـبيل الرحمـة والرفق، يقول ﷻ على لسـان سـيدنا يوسـف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى

مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة يوسف، الآية ١٠٠]، وهو اللطيف في ذاته، فلا يحيط الخلق بها ولا بشيء من أمرها، حيث يقول ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٠٣].

الحليم: هو الذي يمهل من عصاه وخالف أمره، فهو ﷻ حليمٌ بالمذنبين، لطيف بهم صبور عليهم، مع كامل قدرته على الانتقام منهم، فيحلُم عن معاقبة العاصين، ويمهلهم كي يتوبوا وينيبوا، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٦١]، ويقول نبينا ﷺ (لا أحَدَ أصْبَرُ علَى أذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ، إنَّه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثُمَّ هو يُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ)[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بابٌ: لا أحَدَ أصْبَرُ علَى أذًى مِنَ الله عزَّ وجلَّ، حديث رقم ٢٨٠٤.

العظيم: هو الرفيع القدر الذي تقصر العقول عن أن تحيط بِكُنْهِ حقيقته، فلا نظير ولا شبيه ولا مثيل لعظمته، وهو الذي خلق الخلق كله والكون كله بقدرة لا حدود لها.

العلي: هو الذي لا رتبة فوق رتبته، فالله ﷻ هو العلي فوق الخلائق أجمع، لا يدانيه منها أحد.

الكبير: هو المتصف بجلال الشأن، وعظمة الذات، وهو ﷻ ذو الكبرياء، والكبرياء هو كمال الذات وكمال الوجود، ووجوده تعالى يصدر عنه وجود كل موجود.

الجليل: هو الموصوف بنعوت الجلال، كالعز، والملك، والغنى، وغيرها، فإن الجامع لها هو الجليل وهو الله ﷻ، وقال بعضهم: إن الكبير يرجع إلى كمال الذات، والجليل إلى كمال الصفات، والعظيم يرجع إلى كمال الذات والصفات جميعًا.

الواسع: هو الذي اتسع علمه فأحاط بجميع المعلومات على كثرتها، وهو الذي وسع إحسانه ونعمه جميع خلقه.

المجيد: هو العظيم الشريف في ذاته، الجميل في أفعاله، الجزيل في عطائه ونواله، والمجد تمام الشرف، وهو ﷻ أهل الثناء والمجد، المستحق لكل الحمد.

الباعث: هو الذي يحيي الخلق ويبعثهم يوم النشور، يقول ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس، الآيتان ٧٨، ٧٩].

الحق: هو الحق المبين، يقول ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، الآية ٦٢].

المحصي: هُوَ الْعَالم الذي يحصي المعلومات ويحيط بهَا إحصاء، فينْكَشف فِي علمه حد كل مَعْلُوم وعدده ومبلغه، ويحصي على الخلائق أعمالهم، يقول ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [سورة القمر، الآية ٥٣].

الحَيّ: هو الله ﷻ الذي لا يجوزُ عليه الموتُ ولا الفناء؛ فلم تحدثْ له الحياة بعد موتٍ، ولا يعترضه الموتُ بعد الحياة، حيث يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة غافر، الآية ٦٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى

﴿ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٥٨].

القيوم: هو المدبر والمتولي لجميع الأمور التي تجري في العالم، وهُوَ الْقَائِم بِنَفسِهِ مُطلقًا، وكل مَوْجُود مفتقر في وجوده وفي دوَام ذلك الوجود إليه.

الوَاجِد: هو الذي استغنى بذاته فلا يحتاج لشيء ولا لأحد من خلقه، وكل ما لا بد منه من صفات الألوهية والكمال والعظمة هو له وحده، وخزائن الكون كله قيد أمره وحكمته.

الماجِد: هو الكثير الخير، صاحب الكمال والعز، وهو بِمَعْنى الْمَجِيد كالعالم بِمَعْنى العلِيم لَكِن الفعيل أَكثر مُبَالغَة، وهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال.

الصَّمد: هُوَ الَّذِي يُقصد إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِج، ويُقصد إِلَيْهِ فِي الرغائب، فهو الصَّمد الْمُطلق الَّذِي يُقْصد إِلَيْهِ فِي جَمِيع الْحَوَائِج ﷻ.

المنتقم: هُوَ الَّذِي يقصم ظُهُور العتاة والجناة والجاحدين، وَذَلِكَ بعد الْإِعْذَار والإنذار، والإمهال، يقول ﷻ: ﴿فَلَا

﴿تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤٧]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٤].

العَفُوُّ: هُوَ الَّذِي يمحو السَّيِّئَات ويتجاوز عَن الْمعاصِي، وَمعناه قريب من الغفور، غير أن الغفران يُنبئ عَن السّتْر، وَالْعَفو يُنبئ عَن المحو.

المتعالي: من العلوّ والرفعة، المنزه عن الشبيه والنظير، بذاته وصفاته وسلطانه وقهره، قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [سورة الرعد، الآية ٩].

المقسط: هُوَ العدل المطلق الَّذِي ينتصف للمظلوم من الظَّالِم، وكمالُهُ فِي أَن يضيف إِلَى إرضاء الْمَظْلُوم إرضاء الظَّالِم، فيصلح بينهما، وَلَا يقدر عَلَيْهِ إِلَّا الله ﷻ.

النُّور: هو النور في ذاته، وهو الّذي نوّر قلوب الصادقين بتوحيده، وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته، يقول ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية ٣٥].

البديع: هُوَ الّذي ليس كمثله شيء، وليس له قبل ولا بعد، يقول ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية ١١]، وهو الخالق للكون والخلق على غير مثال سابق، يقول ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١١٧].

البَاقِي: هو الّذي لا يموت ولا يفنى، فهو واجب الوجود لذاته، لا ابتداء ولا نهاية لوجوده ﷻ، يقول ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص، الآية ٨٨].

الوَارِث: هُوَ الَّذِي يرجع إِلَيْهِ الْأَمْلَاك بعد فنَاء الْملاك، فإِلَيْهِ مرجع كل شَيْء ومصيره، يقول ﷻ: ﴿إِنَّا

﴿نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [سورة مريم، الآية ٤٠]، ويقول ﷻ: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٨].

الرشيد: هُوَ الَّذِي تنساق تدبيراته إِلَى غاياتها على سنَن السداد، من غير إِشَارَة مشير ولا إرشاد مرشد، وقيل: الرشيد الّذي أسعد من شاء بإرشاده، فهو الذي يرشد من أراد هدايته وسعادته إلى الخير والحق، فله الفضل وحده والمنة، وهو الذي يبين لخلقه طريق الخير من طريق الشر، يقول ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد، الآية ١٠]، ويقول تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [سورة الشمس، الآية ٨]، أي: بين لها طريق الهداية لتتبعه وطريق الضلال لتجتنبه.

الصبور: هُوَ الَّذِي لَا تحمله العجلة على المسارعة إِلَى الْفِعْل قبل أَوَانه؛ بل يُنزل الْأُمُور ويجريها بِقدر مَعْلُوم، فيودع كل شَيْء فِي أَوَانه على الْوَجْه الَّذِي يجب أَن يكون فِي الوقت الذي يريد أن يكون، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة فاطر، الآية ٤٥].

القابض والباسط: هو الذي يبسط الرزق على أقوام ويقبضه عن آخرين حسب حكمته وإرادته، وهو الذي يقبض الأرواح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، فالله ﷻ هو القابض الباسط وفق ما يعلم من خلقه ويشاء لهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ٣٧].

الخافض الرافع: هو الذي يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد، لا يعلو إلا من رفعه الله ﷻ، ولا يوضع إلا من وضعه وخفضه، يقول نبينا ﷺ: «يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ»(١).

الْقوي المتين: هو صاحب الْقُدْرَة التَّامَّة، فما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض، والمتين

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم: ٢٩٣.

هـو: الذي لا يلحـق قدرته ضعف، فالله ﷻ من حَيْثُ إِنَّه بَالغ الْقُدْرَة تامّها قويّ، وَمن حَيْثُ إِنَّه شَدِيد الْقُوَّة دائمها فهو متين.

المبدئ المعيـد: المُبدئ هو: الموجِد على غير مثال سـابق، والمعيد هو: المعيد لما يشـاء مـن الخلق بعد فنائهم، فهو يخلق عـلى مثال وعـلى غير مثال، فالمبـدئ الخالق عـلى غير مثال، فيخلق ما لم يكن مسبوقًا بمثله، والمعيد هو من يخلق ما سبق لـه مثال، متـى أراد ذلك، ويحيـي من فني متـى أراد ذلك، يقـول ﷻ ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٤].

المحيـي المميـت: هو الذي يهـب الحياة لمن يشـاء، ويقدر الموت على من يشـاء، فهو الذي يحيي الخلائق، ويحيي الموتى، ويحيـي الأرض بعد موتهـا، ويحيي القلـوب والنفوس الميتة، يقـول ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سـورة الحـج، الآيـة ٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

يَأۡكُلُونَ * وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ [سورة يس، الآيتان ٣٣، ٣٤]، ويقول تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٢٢].

المحيي يرجع إِلَى الإيجاد، فالْمَوْجُود إِذْ كَانَ هُوَ الْحَيَاة سمي فعله إِحْيَاء، وَإِذا كَانَ هُوَ الْمَوْت سُمي فعله إماتة، فَلَا مميت وَلَا محيي إِلَّا الله ﷻ، يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سورة الملك، الآية ٢].

الْقَادِر المقتدر: مَعْنَاهُمَا ذُو الْقُدْرَة التَّامَّة، فهُوَ الَّذِي إِن شَاءَ فعل وَإِن شَاءَ لم يفعل، فهو القادرُ على كلّ شيءٍ أراده، لا يَعترِضُهُ عجزٌ ولا فتورٌ، يقول ﷻ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [سورة ق، الآية ٣٨].

المقدم المؤخر: هو الذي يقدم من يشاء وما يشاء متى يشاء، ويؤخر من يشاء ومايشاء متى يشاء،

وهُـوَ الَّذِي يُقرِّب وَيبعد، وَمن قرَّبه فقد قدَّمه، وَمن أبعده فقـد أَخّرهُ، وَقد قدم أنبيـاءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم، وَأخر أعداءه بإبعادهم.

الأول وَالآخر: الأول هو: الذي لاشيء قبلـه، والآخـر: هو الذي لا شيء بعــده.

الظَّاهِـر البَاطِـن: هو الباطـن بذاته الظاهـر بآياته الدالة عـلى ذاته وعظمتـه وقدرته، فالظُّهُور والبطـون إِنَّمَـا يكون بِالْإِضَافَـة إِلَى الإدراكات، فـالله سُـبْحَانَهُ بَاطِـن إِن طلـب مـن إِدْرَاك الْحَـواس، وظَاهـر إِن طلب مـن خـزانَة الْعقـل بطـرِيق الِاسْـتِـدْلَال، يقـول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[سـورة الحديـد، الآيـة ٣]، ويقـول ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت، الآية ٥٣].

الجَامِـع المَانِع: **الجامِع**: هُوَ مـن جمع جميع صفات الكمال ونعـوت الجـلال، والمانِـع: هـو الـذي يمنعك ممّـا يؤذيك، فيمنع أهلَ الدين، وينصرهم، ويحميهم، وهو الّذي إذا منع فلا معطيَ لما منع.

ذو الجلَال وَالإكرَام، هُوَ: الَّذِي لَا جلال وَلَا كَمَال إِلَّا هُوَ لَهُ، وَلَا كَرَامَة وَلَا مكرمَة إِلَّا وَهِي صادرة مِنْهُ، فالجلال لَهُ فِي ذَاته، والكرم فائض مِنْهُ على خلقه، يقول تعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [سورة الرحمن، الآية ٧٨].

الضار النافع هو: الَّذِي يقدر الأمر كله نفعًا وضرًّا، ولا أحد دافع لضرٍّ أراده الله ﷻ، ولا جالب لنفع لم يرده ﷻ، يقول ﷻ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية ٥١].

* * *

دعاء بأسمائه الحسنى

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى أن ترزقنا بركة هذه الأسماء، وأن تغفر لنا وترحمنا، وأن تعطينا ولا تحرمنا، وتقبلنا وعن بابك لا تطردنا، يا الله، يا الله، يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا ملك، يا قُدُّوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزِيز، يا جبَّار، يا متكبر.

أنت الخالق، أنت البارئ، أنت المصور، أنت الغفَّار، أنت القهَّار، أنت الوهَّاب، أنت الرَّزَّاق، أنت الفَتَّاح، أنت العلِيم، أنت القابض، أنت الباسط، أنت الخافض، أنت الرافع، أنت المعز، أنت المذل، أنت السميع، أنت البصير، أنت الحكم، أنت العدل، أنت اللطيف، أنت الخبير، أنت الحليم، أنت العظيم، أنت الغفور، أنت الشَّكُور، أنت العلي، أنت الكبير، أنت الحفيظ، أنت المقيت، أنت الحسيب، أنت الجليل، أنت الكريم، أنت الرقيب، أنت المُجِيب، أنت الواسع، أنت الحَكِيم، أنت الودود، أنت المجيد، أنت

الباعث، أنت الشَّـهِيد، أنت الحق، أنت الوكيل، أنت مولانا فنعم المولى ونعم الوكيـل، أنت القـوي، أنت المتـين، أنت الـولي، أنـت الحميـد، أنـت المحـصي، أنت المبـدئ، أنت المعيـد، أنت المحيـي، أنت المميت، أنت الحـي، أنت القيوم، أنـت الواجـد، أنت المـاجد، يـا واحـد، يا أحـد، يا صمد، يـا قـادر، يـا مقتدر، أنـت المقدم، أنـت المؤخر، أنـت الأول والآخر، والظاهـر والباطن، أنت الوالي، أنت المتعال، أنت الـبر التَّوَّاب، أنت المنتقـم العفـو، أنت الـرؤوف، يا مالك الملـك، يـا ذا الجـلال والإكرام، أنت المقسـط الجامـع، أنت الغنيُّ المغني، أنت المانع، أنت الضار النافع، أنت النور، أنت الهـادي، أنـت البديـع، أنت البـاقي، أنـت الـوارث، أنت الـرشيـد، أنت الصبـور، جلّ جلالك وتقدست أسماؤك.

اللهمّ إني أسـأَلُك بكلِّ اسمٍ هو لك سـميتَ به نفسَك، أو أنزلتَـه في كتابِـك، أو علَّمْتَـه أحـدًا مـن خلقِـك، أو اسـتأثرت به في علمِ الغيبِ عنـدك، أن تغفر لنا ذنوبنا، وأن تستر عيوبنا، وأن تغنِنا بحلالك عن الحرام وبفضلك عمن سـواك، اللهم ارزقنا بركة هذه الأسـماء، أسـمائك الحسنى، اللهم إنا ندعوك بهـا، ونتعبد إليك بها، ونؤمن بها، ونتوكل عليك، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

فهرس الموضوعات

مقدمة.	٥
الأسماء الحسنى ومعنى إحصائها.	٩
الله الواحد الأحد.	١٥
خالق الخلق ومالك الملك.	١٩
الرَّحمن الرَّحيم	٢٣
الولي الحميد.	٢٩
الهـــــادي.	٣٥
الحَكِيم.	٤٥
المُجِيب.	٥١
الرَّزَّاق.	٥٧
القُدُّوس الســـلام.	٦٩

السميع والبصير. ٧٥
الحفيـــظ. ٧٩
الفَتَّاح. ٨٣
العلِيم الخبـــير. ٨٧
الحسيب الوكيل المقيت. ٩٣
الجبَّار المتكبر. ٩٩
الـرقيب. ١٠٧
الكـريـم الوهَّاب. ١١٥
الـــبر الـــودود المنـان. ١٢٥
الغنيُّ المغني المعز المذل. ١٣١
الغفور التَّوَّاب. ١٤١
الشَّهِيد. ١٤٩
العزِيز. ١٥٥

الشَّكُور. ١٦١
الحكم العــدل. ١٦٧
من أسماء الله الحسنى. ١٧٧
دعاء بأسمائه الحسنى. ١٩١

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية
مروان حماد

متابعة
فريال فؤاد

المراجعة اللغوية
د.حسن أحمد خليل
سيد عبد المنعم

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٦٥/ ٢٠٢٣
ISBN 978-977-91-4285-2